اعلام الهداية

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

(عليه السلام)

الفهرس التفصيلي

- **المقدمة**
- **الباب الأوّل**
- **الفصل الأول** الإمام المرتضى عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) في سطور
- **الفصل الثاني** انطباعات عن شخصيّة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)
- **الفصل الثالث** مظاهر من شخصية الإمام عليّ (عليه السلام)
- عبادته وتقواه(عليه السلام):
- زُهده (عليه السلام):
- إباؤه وشهامته (عليه السلام):
- مروءته (عليه السلام) :
- صدقه وإخلاصه (عليه السلام):
- شجاعته (عليه السلام):
- عدله (عليه السلام):
- تواضعه (عليه السلام):
- نقاؤه (عليه السلام):
- كرمه (عليه السلام):
- علمه ومعارفه (عليه السلام) :
- **الباب الثّاني**
- **الفصل الأول** نشأة الإمام عليّ (عليه السلام)
- نسبه الوضّاء :
- جدّه الكريم :
- والده :
- أُمّه :
- **الفصل الثاني** مراحل حياة الإمام عليّ (ع)
- **الفصل الثالث** المرحلة الاولى : من الولادة الى البعثة النبوية المباركة
- ولادته :
- كناه وألقابه :
- الإعداد النبويّ للإمام عليّ (عليه السلام) :

■ المرحلة الثانية : من البعثة الى الهجرة
■ عليّ (عليه السلام) أول المؤمنين برسول الله (صلى الله عليه وآله) :
■ علّي (عليه السلام) أوّل من صلّى :
■ أوّل صلاة جماعة في الإسلام :
■ عليٌّ (عليه السلام) حين إعلان الرسالة :
■ حديث يوم الإنذار :
■ عليّ (عليه السلام) من إعلان الرسالة الى الهجرة النبويّة المباركة :
■ عليّ (عليه السلام) في شِعب أبي طالب :
■ علي (عليه السلام) والهجرة الى الطائف :
■ علي (عليه السلام) في بيعة العقبة الثانية :
■ عليّ (عليه السلام) ليلة هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله) الى المدينة
■ مباهاة الله ملائكته بموقف عليّ (عليه السلام):
■ مهامّ ما بعد ليلة المبيت :
■ هجرة الإمام عليّ (عليه السلام) :
■ من معاني مبيت الإمام (عليه السلام) في فراش النبيّ (صلى الله عليه وآله) :

بسم الله الرحمن الرحيم

أعلام الهداية
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
(عليه السلام)

أهل البيت في القرآن الكريم

(إنّمـا يـريـد الله ليذهـب عنـكم الرّجس أهـل البيت ويطـهّـركـم تطهيـراً) .

الأحزاب : ٣٣ / ٣٣

أهل البيت في الُسنّة النبويّة

« إنّـي تـارك فيكـم الثقليـن كـتـاب الله وعتـرتـي أهـل بيتـي مـا إن تمسكتـم بهمـا لـن تـضلّـوا بـعـدي أبـدا » .

« الصحاح والمسانيد »

الحمد لله الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداةً لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء وسيّد الرسل والأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله) وعلى آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الانسان وزوّده بعنصري العقل والإرادة، فبالعقل يبصر ويكتشف الحقّ ويميّزه عن الباطل ، وبالإرادة يختار ما يراه صالحاً له ومحقّقاً لأغراضه وأهدافه .

وقد جعل الله العقل المميِّز حجةً له على خلقه، وأعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته ؛ فإنّه هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وأرشده إلى طريق كماله اللائق به، وعرّفه

الغاية التي خلقه من أجلها، وجاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها .

وأوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية وآفاقها ومستلزماتها وطرقها ، كما بيّن لنا عللها وأسبابها من جهة، وأسفر عن ثمارها ونتائجها من جهة أُخرى .

قال تعالى :

(قُلْ إنّ هُدى الله هو الهُدى) [الانعام (٦) : ٧١] .

(والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) [البقرة (٢): ٢١٣] .

(والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل) [الاحزاب (٣٣) : ٤] .

(ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم) [آل عمران (٣): ١٠١] .

(قل الله يهدي للحقّ أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتَّبع أ مّن لا يهدّي إلاّ أن يُهدى فمالكم كيف تحكمون)[يونس (١٠) : ٣٥] .

(ويرى الذين أُوتوا العلم الذي أُنزل اليك من ربّك هو الحقّ ويهدي إلى صراط العزيز الحميد) [سبأ (٣٤) : ٦] .

(ومن أضلّ ممن اتّبع هواه بغير هدىً من الله) [القصص (٢٨) : ٥٠] .

فالله تعالى هو مصدر الهداية. وهدايته هي الهداية الحقيقية، وهو الذي يأخذ بيد الانسان إلى الصراط المستقيم وإلى الحقّ القويم.

وهذه الحقائق يؤيدها العلم ويدركها العلماء ويخضعون لها بملء وجودهم.

ولقد أودع الله في فطرة الانسان النزوع إلى الكمال والجمال ثمّ مَنّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، وأسبغ عليه نعمة التعرّف على طريق الكمال، ومن هنا قال تعالى : (وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلاّ ليعبدونِ)[الذاريات (٥١): ٥٦]. وحيث لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، كانت المعرفة والعبادة طريقاً منحصراً وهدفاً وغايةً موصلةً إلى قمّة الكمال .

وبعد أن زوّد الله الانسان بطاقتي الغضب والشهوة ليحقّق له وقود الحركة نحو الكمال؛ لم

يؤمَن عليه من سيطرة الغضب والشهوة؛ والهوى الناشئ منهما، والملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان ـ بالإضافة إلى عقله وسائر أدوات المعرفة ـ ما يضمن له سلامة البصيرة والرؤية؛ كي تتمّ عليه الحجّة ، وتكمل نعمة الهداية، وتتوفّر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير والسعادة، أو طريق الشرّ والشقاء بملء إرادته.

ومن هنا اقتضت سُنّة الهداية الربّانية أن يُسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي، ومن خلال الهداة الذين اختارهم الله لتولّي مسؤولية هداية العباد وذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة وإعطاء الارشادات اللازمة لكلّ مرافق الحياة .

وقد حمل الأنبياء وأوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ وعلى مدى العصور والقرون ، ولم يترك الله عباده مهملين دون حجة هادية وعلم مرشد ونور مُضيء ، كما أفصحت نصوص الوحي ـ مؤيّدةً لدلائل العقل ـ بأنّ الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه ، لئلاّ يكون للناس على الله حجّة ، فالحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق ، ولو لم يبق في الأرض إلاّ اثنان لكان أحدهما الحجّة، وصرّح القرآن ـ بشكل لا يقبل الريب ـ قائلاً :

(إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد)[الرعد (١٣) : ٧].

ويتولّى أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم الهداة المهديّون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، والتي تتلخّص في :

١ ـ تلقّي الوحي بشكل كامل واستيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة. وهذه المرحلة تتطلّب الاستعداد التام لتلقّي الرسالة، ومن هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأناً من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلاً : (الله أعلم حيث يجعل رسالته)[الانعام (٦) : ١٢٤] و (الله يجتبي من رسله من يشاء) [آل عمران (٣) : ١٧٩].

٢ ـ إبلاغ الرسالة الإلهية الى البشرية ولمن أُرسلوا إليه، ويتوّقف الإبلاغ على الكفاءة التامّة التي تتمثّل في «الاستيعاب والإحاطة اللازمة» بتفاصيل الرسالة وأهدافها ومتطلّباتها، و «العصمة» عن الخطأ والانحراف معاً، قال تعالى : (كان الناسُ أُمّةً واحدةً فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتابَ بالحقّ ليحكم بين الناس فيما

اختلفوا فيه)[البقرة (٢) : ٢١٣].

٣ ـ تكوين أُمة مؤمنة بالرسالة الإلهية، وإعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها وتطبيق قوانينها في الحياة ، وقد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمّة مستخدمةً عنواني التزكية والتعليم، قال تعالى: (يزكّيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمة) [الجمعة (٦٢) : ٢] والتزكية هي التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. وتتطلّب التربية القدوة الصالحة التي تتمتّع بكلّ عناصر الكمال، كما قال تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة)[الاحزاب (٣٣): ٢١].

٤ ـ صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف والضياع في الفترة المقرّرة لها ، وهذه المهمة أيضاً تتطلّب الكفاءة العلمية والنفسية، والتي تسمّى بالعصمة.

٥ ـ العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية وتثبيت القيم الأخلاقية في نفوس الأفراد وأركان المجتمعات البشرية وذلك بتنفيذ الأُطروحة الربّانية، وتطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيان سياسيٍّ يتولّى إدارة شؤون الأُمة على أساس الرسالة الربّانية للبشرية، ويتطلّب التنفيذ قيادةً حكيمةً، وشجاعةً فائقةً، وصموداً كبيراً، ومعرفةً تامةً بالنفوس وبطبقات المجتمع والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية وقوانين الإدارة والتربية وسنن الحياة، ونلخّصها في الكفاءة العلمية لإدارة دولة عالمية دينية، هذا فضلاً عن العصمة التي تعبّر عن الكفاءة النفسية التي تصون القيادة الدينية من كلّ سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثّر تأثيراً سلبيّاً على مسيرة القيادة وانقياد الأُمة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة وأغراضها .

وقد سلك الأنبياء السابقون وأوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامي، واقتحموا سبيل التربية الشاقّ، وتحمّلوا في سبيل أداء المهامّ الرسالية كلّ صعب، وقدّموا في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلّ ما يمكن أن يقدّمه الإنسان المتفاني في مبدئه وعقيدته، ولم يتراجعوا لحظة، ولم يتلكّأوا طرفة عين.

وقد توّج الله جهودهم وجهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) وحمّله الأمانة الكبرى ومسؤولية الهداية بجميع مراتبها،

طالباً منه تحقيق أهدافها. وقد خطا الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في هذا الطريق الوعر خطوات مدهشة، وحقّق في أقصر فترة زمنية أكبر نتاج ممكن في حساب الدعوات التغييرية والرسالات الثورية ، وكانت حصيلة جهاده وكدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلي :

١ ـ تقديم رسالة كاملة للبشرية تحتوي على عناصر الديمومة والبقاء .

٢ ـ تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ والانحراف .

٣ ـ تكوين أُمة مسلمة تؤمن بالإسلام مبدأً، وبالرسول قائداً، وبالشريعة قانوناً للحياة .

٤ ـ تأسيس دولة إسلامية وكيان سياسيٍّ يحمل لواء الإسلام ويطبّق شريعة السماء .

٥ ـ تقديم الوجه المشرق للقيادة الربّانية الحكيمة المتمثّلة في قيادته (صلى الله عليه وآله) .

ولتحقيق أهداف الرسالة بشكل كامل كان من الضروري :

أ ـ أن تستمرّ القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة وصيانتها من أيدي العابثين الذين يتربّصون بها الدوائر .

ب ـ أن تستمرّ عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربٍّ كفوء علمياً ونفسياً حيث يكون قدوة حسنة في الخلق والسلوك كالرسول(صلى الله عليه وآله)، يستوعب الرسالة ويجسّدها في كل حركاته وسكناته .

ومن هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتّم على الرسول (صلى الله عليه وآله) إعداد الصفوة من أهل بيته، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم؛ لتسلّم مقاليد الحركة النبويّة العظيمة والهداية الربّانية الخالدة بأمر من الله سبحانه وصيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين، وتربية للأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التي تولّوا تبيين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها على مرّ العصور، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وتجلّى هذا التخطيط الربّاني في ما نصّ عليه الرسول(صلى الله عليه وآله) بقوله: «إنّي

تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» .

وكان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرّفهم النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تعالى لقيادة الأ مّة من بعده.

إنّ سيرة الأئمّة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) تمثّل المسيرة الواقعية للاسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ودراسة حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الاسلام الأصيل الذي أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الأمة بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) يعملون على توعية الأُمة وتحريك طاقتها باتجاه إيجاد وتصعيد الوعي الرساليّ للشريعة ولحركة الرسول (صلى الله عليه وآله) وثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكّم في سلوك القيادة والأُمة جمعاء .

وتبلورت حياة الأئمّة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم وانفتاح الأُمة عليهم والتفاعل معهم كأعلام للهداية ومصابيح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاّء على الله وعلى مرضاته، والمستقرّين في أمر الله، والتامّين في محبّته، والذائبين في الشوق اليه، والسابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانيّ المنشود .

وقد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر على طاعة الله وتحمّل جفاء أهل الجفاء حتّى ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذلّ، حتى فازوا بلقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم وجهاد كبير .

ولا يستطيع المؤرّخون والكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطرة ويدّعوا دراستها بشكل كامل، ومن هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء قبسات من حياتهم، ولقطات من سيرتهم وسلوكهم ومواقفهم التي دوّنها المؤرّخون واستطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة والتحقيق ، عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق .

إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية تبدء برسول الإسلام وخاتم الأنبياء

محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) وتنتهي بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه وأنار الأرض بعدله.

ويختصّ هذا الكتاب بدراسة حياة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) أول أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو المعصوم الثاني من أعلام الهداية والذي تمثلت في حياته كل جوانب الشريعة روحاً وعملاً وسلوكاً، فكان نبراساً ومتراساً ومثلاً أعلى للبشرية بعد رسول الله محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله).

ولا بدَّ لنا من ذكر كلمة شكر لكلّ العاملين الذين بذلوا جهداً في إخراج هذا المشروع ، لا سيما لجنة التأليف بإشراف سماحة السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى .

وأخيراً نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لإتمام الكتب الأُخرى من هذه السلسلة ، وهو حسبنا نعم المولى ونعم النصير .

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

قم المقدسة

الباب الأوّل

الفصل الأوّل

الإمام المرتضى عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) في سطور

* ـ هو أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين وأوّل خلفاء الرسول (صلى الله عليه وآله) المهديّين ـ بأمر من الله ونصّ من رسوله (صلى الله عليه وآله) ـ وقد صرّح القرآن بعصمته وتطهيره من كلّ رجس، وباهل به وبزوجته وولديه رسول الله (صلى الله عليه وآله) نصارى نجران، واعتبره من القربى الذين وجبت مودّتهم مصرّحاً غير مرّة بأنّها عِدل الكتاب المجيد الموجبين للمتمسّك بهما النجاة وللمتخلّف عنهما الردى .

* ـ نشأ الإمام في حجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) منذ نعومة أظفاره، وتغذّى من معين هديه، فكان المتعلّم الوفيّ والأخ الزكيّ، وأوّل من آمن وصلّى وأصدق من تفانى في سبيل ربّه وضحّى في سبيل إنجاح رسالته في أحرج لحظات صراعها مع الجاهلية العاتية في كلّ صورها في العهدين المكّي والمدني وفي حياة الرسول وبعد رحيله ذائباً في مبدئه ورسالته وجميع قيمه مجسّداً للحقّ بكلّ شُعَبِه من دون أن يتخطّاها قيد أنملة أو ينحرف عنها قيد شعرة .

* ـ لقد وصفه ضرار بن ضمرة الكناني لمعاوية بن أبي سفيان حتى أبكاه وأبكى القوم وجعله يترحّم عليه، بقوله :

«كان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة طويل الفكرة، يقلّب كفّه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما جشب، وكان فينا كأحدنا، يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه، وينبّئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيّانا وقربه منّا لا نكاد نكلّمه هيبةً له، فإن ابتسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظّم أهل الدين ويقرّب المساكين، لا يطمع القويّ في باطله

ولا ييأس الضعيف من عدله[١].

* ـ لقد آزر الإمام (عليه السلام) رسول الله منذ بداية الدعوة، وجاهد معه جهاداً لا مثيل له في تأريخ الدعوة المباركة حتى تفرّى الليل عن صُبحه وأسفر الحقّ عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق الشياطين بعد أن مُني بذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب[٢].

* ـ وبعد أن خطا الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لتغيير المجتمع الجاهلي خطواته المدهشة في تلك الفترة القصيرة كان الطريق أمام الاسلام لبلوغ أهدافه الكبرى شاقاً وطويلاً يتطلّب التخطيط الكامل والقيادة الواعية التي لا تقلّ عن شخصية الرسول القائد إيماناً وكمالاً وإخلاصاً ودرايةً وحنكةً، وكان من الطبيعي للرسالة الخاتمة أن تخطّط لمستقبل هذه الدعوة التي تعتبر عصارة دعوات الأنبياء جميعاً ووريثة جهودهم وجهادهم المتواصل عبر التأريخ.. وهكذا كان إذ اختار النبيّ الخاتم (صلى الله عليه وآله) بأمر من الله سبحانه شخصاً رشّحه عمق وجوده في كيان الدعوة حتى تفانى في أهدافها وخلص من جميع شوائب الجاهلية ورواسبها وتحلّى بأعلى درجات الكفاءة وعياً وإيماناً وإخلاصاً وتضحيةً في سبيل الله.

لقد كان عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) هو ذلك البديل الذي أعدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إعداداً رسالياً خاصّاً ليحمّله المرجعية الفكرية والسياسية من بعده ، كي يواصل عملية التغيير الطويلة الرائدة بمساندة القاعدة الواعية التي أعدّها الرسول (صلى الله عليه وآله) له من المهاجرين والأنصار.

* ـ ولكنّ الجاهلية المتجذّرة في أعماق ذلك المجتمع ما كانت لتندحر في بدر وحُنين وخلال عقد واحد من الصراع والكفاح، وكان من الطبيعي أن تظهر من جديد متستّرة بشعار إسلامي كي تستطيع أن تظهر على المسرح الاجتماعي من جديد ولو بعد عقود من الزمن، وكان من الطبيعي أيضاً أن تتسلّل الى المواقع القيادية بشكل مباشر أو غير مباشر.. ومن هنا كانت الردّة الى المفاهيم والعادات الجاهلية ـ من خلال الالتفاف على القيادة الشرعية للمجتمع الإسلامي الفتي الذي كانت تحدق به الأخطار من كلّ جانب، ولم تكتمل قواعده وعياً ونضجاً ـ أمراً محتملاً بل متوقّعاً لكلّ قياديّ يمتلك أدنى وعي سياسيّ واجتماعيّ،

فكيف برسول الله وخاتم أنبيائه (صلى الله عليه وآله)؟

* ـ وإذا كانت الرسالة الإسلامية تهدف الى تغيير الواقع الاجتماعي الجاهلي، فلابدّ أن تلاحظ هذا الواقع بكل ملابساته ورسوباته، وتخطّط للتغيير الشامل على المدى القريب والبعيد معاً... وهكذا كان، فقد رسمت الرسالة الخط الطبيعي الذي يفرضه المنطق التشريعي للمسيرة الإسلامية الرائدة، حيث تجلّى ذلك في إرجاع الأُمّة فكرياً وسياسياً الى الأئمّة المعصومين من كلّ رجس جاهلي، بعد أن نصب النبيّ عليّاً في غدير خم أميراً للمؤمنين، وأحكم له الأمر بأخذ البيعة له من عامّة المسلمين .

* ـ لقد اصطدم التخطيط الرائد بواقع كان متوقّعاً للنبيّ (صلى الله عليه وآله) وبتيّار جارف يعود الى نقصان الوعي عند الأُمّة التي تشكّل القاعدة الأمينة لحماية القيادة الرشيدة، بحيث لم يكن يدرك عامّة المسلمين بعمق أنّ الجاهلية تتآمر وراء الستار عليهم وعلى الثورة الإسلامية الفتيّة، وأنّ القضية ليست قضية تغيير شخص القائد بقائد آخر، وإنّما القضية قضية تغيير خط الإسلام المحمدي الثوري بخط جاهلي متستّر بالإسلام .

* ـ وهكذا أجهضت السقيفةُ التخطيطَ الرائدَ للنبيّ القائد (صلى الله عليه وآله) حينما وجدت أنّ الساحة قد خلت منه، وتحقّقت نبوءة القرآن العظيم حين قال: (وما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)[٣] ؟ ! ! .

لقد كان النبيّ جعل عليّاً أميناً على رسالته وأُمّته ودولته، وكلّفه بحفظ الرسالة والشريعة كما كلّفه بتربية الأُمّة الفتيّة وصيانة الدولة التي لم تترسخ جذورها بعد.

وحاول الإمام عليّ (عليه السلام) إرجاع الأُمور الى مجاريها بإدانة السقيفة ونتائجها وبالامتناع من البيعة والتصدّي للمؤامرة ، ولكن دون جدوى، بل كان الأمر قد دار بين انهيار الدولة سياسياً ودولياً وبين حفظها مع تصدّي غير الأكفّاء للقيادة.

* ـ لقد وقف الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) موقفاً مبدئياً سجّله له التأريخ حيث قال : «فأمسكت يديّ حيث رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون الى محق دين محمد (صلى الله عليه وآله) فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله؛ أن أرى فيه ثلماً أو هدماً

تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنّما هي متاع أيّام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتقشّع السحاب»[٤].

* ـ وتلخّصت مواقف هذا الإمام العظيم خلال خمسة وعشرين عاماً من المحنة وهو يلعق الصبر الأمرّ من العلقم ـ على حدّ تعبيره (عليه السلام) ـ في الحفاظ على وحدة الأُمّة الإسلامية وعدم تصدّع الدولة النبويّة الفتيّة ولو بالتنازل عن حقّه الشرعي مؤقّتاً، وتقديم المشورة للخلفاء وإسداء النصح لهم، مع التوجّه الى جمع القرآن وتفسيره، وتثقيف الأُمّة على مفاهيمه وتوعيتها على حقائقه، وكشف النقاب عن حقيقة المؤامرة التي دانت لها طوائف من المسلمين، والتصدّي لأخطاء الحكّام في الفهم والتطبيق لأحكام الشريعة الإسلامية، وإيجاد كتلة صالحة تؤمن بالتخطيط النبويّ الرائد للقيادة الإسلامية، وتسهر على نشره وتبليغه، وتضحّي من أجل تطبيقه وتنفيذه.

* ـ واستطاع الإمام بعد عقدين ونصف من الصبر والكدح أن يقتطف ثمار سعيه ، وبعد أن تكشّفت حقائق كانت وراء الستار وتجلّى للأُمّة بجيليها الطليعي والتابع أنّ عليّاً (عليه السلام) هو الجدير بالخلافة دون غيره، وأنّه هو الذي يستطيع إصلاح ما فسد بالرغم من تعقّد الظروف وتبلبل القلوب واشتداد زاوية الانحراف عن نهج الحقّ القويم، حتى قال (عليه السلام): «والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة، ولكنّكم دعوتموني اليها وحملتموني عليها»[٥].

* ـ وأعلن الإمام عن سياسته قائلاً: «واعلموا أنّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ الى قول القائل وعتب العاتب»[٦]. وقال أيضاً: «اللّهمّ إنّك تعلم أنّه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنردّ المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطّلة من حدودك»[٧].

وأجهد الإمام (عليه السلام) نفسه على أن يحقّق بين الناس العدل الاجتماعي والسياسي وفي طريق لا التواء فيه، وأن يسود الأمن والحرية والرخاء والاستقرار مع الاحتفاظ بوحدة الأُمّة مع السعي في تربيتها وتعليمها وإعطائها كامل حقوقها، وعزل الجهاز الإدراي الفاسد واستبداله بالولاة والعمّال الصالحين أو المعروفين بالصلاح ومراقبتهم أشدّ

المراقبة، حيث أقصى عن دائرة المسؤولية كل الانتهازيّن والطامعين، والتزم الصراحة والحقّ والصدق في كلّ مجال ، فلم يخادع ولم يوارب، فسار (عليه السلام) على منهاج أخيه وابن عمّه رسول الله (صلى الله عليه وآله).

* ـ وبدأت تتحرّك كلّ القوى الطامعة والانتهازية التي خسرت مواقعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ضدّ الإمام، وأخذت تتكاتف كلّ القوى التي دعت لمقاتلة عثمان والتحريض عليه يوم أمس، رافعة شعار المطالبة بدم عثمان منددة بسياسة الإمام الحكيمة والنزيهة، فنكثت طائفة وقسطت أُخرى ومرقت ثالثة، وإذا بالإمام بعد كفاح مرير يقع شهيداً مخضّباً بدمائه الطاهرة في محراب عبادته وفي مسجد الكوفة وفي ليلة القدر من عام (٤٠) من الهجرة النبوية، إنّه الفوز بالشهادة والفوز بالثبات على القيم الرسالية الفريدة والثبات على الحقّ اللاحب والجهاد في سبيل إرساء قواعد الدين ، إنّها ثورة القيم الإلهية على القيم الجاهلية بكل شُعبها وفروعها.

فسلام عليك يا أمير المؤمنين وقائد الغر المحجّلين يوم ولدت ويوم رُبّيت في حجر الرسالة، ويوم جاهدت من أجل أن تعلو راية الإسلام خفّاقة، ويوم صبرت ونصحت، ويوم بويعت وحكمت، ويوم كشفت النقاب عن براثن الجاهلية المتستّرة بشعار الإسلام، ويوم استشهدت وأنت تروّي بدمك الطاهر شجرة الإسلام الباسقة، ويوم تبعث حيّاً وأنت تحمل وسام الفوز في أعلى علّيّين.

الفصل الثّاني

انطباعات عن شخصيّة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

لقد عاصر الإمام عليّ (عليه السلام) حركة الوحي الرسالي منذ بدايتها حتى انقطاع الوحي برحيل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكانت له مواقفه المشرّفة والتي يغبط عليها في دفاعه عن الرسول والرسالة طيلة ثلاثة وعشرين عاماً من الجهاد المتواصل والدفاع المستميت عن حريم الإسلام الحنيف، وقد انعكست مواقفه وإنجازاته وفضائله في آيات

الذكر الحكيم ونصوص الحديث النبويّ الشريف.

قال ابن عباس: قد نزلت ثلاثمائة آية في عليّ (عليه السلام)[٨]. وما نزلت: (يا أيّها الذين آمنوا) إلاّ وعليّ أميرها وشريفها[٩]. ولقد عاتب الله أصحاب محمّد في آي من القرآن وما ذكر عليّاً إلاّ بخير[١٠].

ولكثرة ما نزل في علي (عليه السلام) من الآيات المباركة؛ خصّص جمع من المتقدّمين والمتأخرين كتباً جمعت ما نزل فيه (عليه السلام). ونشير الى بعض الآيات التي صرّح المحدّثون بنزولها في حقّه منها:

١ ـ ما عن ابن عباس: أنه كان مع عليّ بن أبي طالب أربعة دراهم لا يملك غيرها، فتصدّق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سرّاً وبدرهم علانيةً، فأنزل الله سبحانه وتعالى: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون)[١١].

٢ ـ وعن ابن عباس أيضاً: أنّ عليّاً (عليه السلام) تصدّق بخاتمه وهو راكع، فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله) للسائل: من أعطاك هذا الخاتم؟ قال: ذاك الراكع، فأنزل الله: (إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)[١٢].

٣ ـ وقد اعتبرت آية التطهير[١٣] عليّاً (عليه السلام) من أهل بيت الوحي المطهَّرين من كلّ رجس، واعتبرته آية المباهلة[١٤] نفس النبي (صلى الله عليه وآله).

٤ ـ وشهدت سورة الإنسان بإخلاص عليّ وأهل بيته وخشيتهم من الله، وتضمّنت الشهادة الربّانية لهم بأنّهم من أهل الجنّة[١٥].

وعقد أرباب الصحاح وغيرهم من المحدّثين فصولاً خاصّة بفضائل عليّ(عليه السلام) في أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولم تعرف الإنسانية في تأريخها الطويل رجلاً أفضل من عليّ (عليه السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولم يسجّل لأحد من الفضائل ما سجّل لعليّ بن أبي طالب بالرغم من كلّ ما ناله عليّ (عليه السلام) من سبّ وشتم على المنابر طوال حكم بني أُميّة وما تداوله مبغضوه. وهم في صدد انتقاصه

حتى لم يجدوا للعيب موضعاً فيه، ومما قاله عمر بن الخطّاب أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «ما اكتسب مكتسب مثل فضل عليّ، يهدي صاحبه الى الهدى ويردّه عن الردّى»[١٦].

وقيل لعليّ (عليه السلام): ما لك أكثر أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) حديثاً؟ فقال: «إنّي كنت إذا سألته أنبأني، وإذا سكتّ ابتدأني»[١٧].

وعن ابن عمر: أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) يوم آخى بين أصحابه وجاء عليّ وعيناه تدمع قال (صلى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام): «أنت أخي في الدنيا والآخرة»[١٨].

وعن أبي ليلى الغفاري أنّه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «سيكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب فإنّه أول من آمن بي، وأوّل من يصافحني يوم القيامة، وهو الصدّيق الأكبر، وهو فاروق هذه الأمّة، وهو يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين»[١٩].

واعترف الخلفاء جميعاً بأنّ عليّاً أعلم الصحابة وأقضاهم، وأنّه لولا عليّ؛ لهلكوا حتى صارت مقولة عمر مضرب الأمثال: لولا عليّ؛ لهلك عمر[٢٠].

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري أنّه قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغض عليّ بن أبي طالب[٢١].

ولمّا بلغ معاوية مقتل عليّ (عليه السلام) قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب[٢٢].

وقال الشعبي: كان عليّ بن أبي طالب في هذه الأُمّة مثل المسيح بن مريم في بني اسرائيل، أحبّه قوم فكفروا في حبّه، وأبغضه قوم فكفروا في بغضه[٢٣].

وكان أسخى الناس، وكان على الخُلُق الذي يحبّه الله: السخاء والجود، ماقال: «لا» لسائل قطّ[٢٤].

وقال صعصعة بن صوحان لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) يوم بويع: والله يا أمير المؤمنين لقد زيّنت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك، ولَهي إليك أحوج منها إليك.

وعن ابن شبرمة: أنّه ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر: «سلوني» غير علي بن أبي طالب[٢٥].

وقام القعقاع بن زرارة على قبره فقال: رضوان الله عليك يا أمير المؤمنين، فوالله لقد كانت حياتك مفتاح الخير، ولو أنّ الناس قبلوك؛ لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولكنّهم غمطوا النعمة وآثروا الدنيا[٢٦].

وقال «المسيحي» جورج جرداق في كتابه «الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانية»: إنّ عليّ بن أبي طالب من الأفذاذ النادرين، إذا عرفتهم على حقيقتهم بعيداً عن الصعيد التقليدي عرفت أنّ محور عظمتهم إنّما هو الإيمان المطلق بكرامة الإنسان وحقّه المقدّس في الحياة الحرّة الشريفة، وبأنّ هذا الإنسان منظور أبداً، وبأن الجمود والتقهقر والتوقّف عند حال من أحوال الماضي أو الحاضر ليست إلاّ نذير الموت ودليل الفناء[٢٧].

وقال شبلي شميل: الإمام عليّ بن ابي طالب، عظيم العظماء، نسخة مفردةٌ لم يرَ لها الشرق ولا الغرب صورةً طبق الأصل لاقديماً ولا حديثاً[٢٨].

وبقدر ما بقي عليّ رمزاً وقيادةً عمليةً معاً، ملتزماً مع جيل الصحابة الكبار بالمفهوم الأوّل للإسلام كهداية وتضحية من أجل إصلاح العالم ودفعه الى طريق الحقّ والعدل، أي بمفهوم الدين كثورة دائمة ومستمرّة. كان معاوية يبرز من خلال صراعه مع عليّ . . . ممثلاً لجيل المسلمين الجديد الذي وضعته الفتوحات في قمّة السلطة من جهة، وفرضت عليه أن يرى الأُمور أيضاً من وجهة نظر الحفاظ على المكتسبات المادية... وفي مثل هذه المواجهة العنيدة القاسية الممزّقة المدمّرة فقط كان معاوية يستطيع أن يولّد المشاعر الدنيويّة القويّة ويمزّق وحدة المسلمين ويشقّ وعيهم، وينتزع للسياسة السلطانية والدولة في مواجهة الروح الرسالية والثورية أرضاً جديدة من أملاك الدين الشامل[٢٩].

وكتب الاستاذ هاشم معروف: لقد كان الإمام عليّ بن أبي طالب حدثاً تأريخياً غريباً عن طباع الناس وعاداتهم منذ ولادته وحتى النفس الأخير من حياته، فقد أطلّ على هذه الدنيا من الكعبة... فكانت ولادته في ذلك المكان حدثاً تأريخياً لم يكن لأحد قبله ولم يحدث لأحد

بعده، وكما دخل هذه الدنيا من بيت الله فقد خرج منها حين أقبل عليه الموت من بيت الله...

وقال: ولم يحدث لإنسان غيره ما حدث له، فقد وضعه من لا يؤمنون به إيمان شيعته ومحبّيه في طليعة قادة الفكر وعباقرة العصور، ووصفه المعتدلون من محبّيه الى جانب الأنبياء والمرسلين، والمغالون منهم في مستوى الآلهة[٣٠].

[١] الاستيعاب (المطبوع بهامش الإصابة) : ٤٤/٣، ط دار إحياء التراث العربي بيروت.

[٢] من خطبة الزهراء (عليها السلام) المعروفة أَمام أبي بكر وعمر وسائر المهاجرين والأنصار بُعَيد رحيل الرسول (صلى الله عليه وآله) وغصبهم للخلافة .

[٣] آل عمران (٣) : ١٤٤.

[٤] بحار الأنوار: ٥٩٦/٣٣ و ٥٩٧ باب الفتن الحادثة بمصر ط وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي سنة١٣٦٨ هـ . ش.

[٥] بحار الأنوار: ٥٠/٣٢ باب بيعة أمير المؤمنين(عليه السلام) ط وزارة الثقافة والارشاد الإسلامية.

[٦] بحار الأنوار: ٣٢ / ٣٦ .

[٧] بحار الأنوار : ١١١/٣٤ باب الفتن التي وقعت في زمان علي(عليه السلام).

[٨] الفتوحات الإسلامية: ٢ / ٥١٦.

[٩] كشف الغمة: ٩٣.

[١٠] ينابيع المودّة: ١٢٦.

[١١] البقرة (٢) : ٢٧٤، وراجع: ينابيع المودّة: ٩٢.

[١٢] المائدة (٥) : ٥٥، وراجع: تفسير الطبري: ٦ / ١٦٥ والبيضاوي وغيرهما.

[١٣] الاحزاب (٣٣) : ٣٣، وراجع: صحيح مسلم ، فضائل الصحابة.

[١٤] آل عمران (٣) : ٦١ ، صحيح الترمذي: ٢ / ٣٠٠.

[١٥] راجع: الكشّاف للزمخشري، والطبري في الرياض النضرة: ٢ / ٢٠٧.

[١٦] الرياض النضرة: ١ / ١٦٦.

[١٧] طبقات ابن سعد: ٢ / ٣٣٨، وحلية الأولياء: ١ / ٦٨.

[١٨] سنن الترمذي: ٥ / ٥٩٥ الحديث ٣٧٢٠.

[١٩] الاصابة لابن حجر: ٤ / ١٧١ الرقم ٩٩٤ ، ومجمع الزوائد: ١ / ١٠٢.

[٢٠] شرح نهج البلاغة: ١ / ٦ ، وتذكرة الخواص: ص٨٧ .

[٢١] الاستيعاب بهامش الاصابة: ٣ / ٤٥.

[٢٢] المصدر السابق.

[٢٣] العقد الفريد: ٢ / ٢١٦.

[٢٤] شرح نهج البلاغة: ١ / ٧.

[٢٥] أئمتنا: ١ / ٩٤ ، عن أعيان الشيعة: ج٣ / القسم ١ / ص١٠٣ .

[٢٦] تأريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٣.

[٢٧] الامام علي صوت العدالة الانسانية: ١ / ١٤.

[٢٨] المصدر السابق: ص٣٥.

[٢٩] نقد السياسة، الدولة والدين، برهان غليون: ص٧٨ ، الطبعة الثانية ١٩٩٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

[٣٠] سيرة الأئمة الاثني عشر: ١ / ١٤١ ـ ١٤٢.

الفصل الثّالث

مظاهر من شخصية الإمام عليّ (عليه السلام)

اجتمع للإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) من صفات الكمال، ومحمود الشمائل والخِلال ، وسناء الحسب وعظيم الشرف، مع الفطرة النقيّة والنفس المرضيّة ما لم يتهيأ لغيره من أفذاذ الرجال.

تحدّر من أكرم المناسب وانتمى الى أطيب الأعراق، فأبوه أبو طالب عظيم المشيخة من قريش، وجدّه عبدالمطلب أمير مكّة وسيّد البطحاء، ثمّ هو قبل ذلك من هامات بني هاشم وأعيانهم[١].

واختص بقرابته القريبة من الرسول (صلى الله عليه وآله)، فكان ابن عمّه وزوج ابنته وأحبّ عترته إليه، كما كان كاتب وحيه، وأقرب الناس الى فصاحته وبلاغته، وأحفظهم لقوله وجوامع كلمه.

أسلم على يديه قبل أن تمسّ قلبه عقيدة سابقة، أو يخالط عقله شوبٌ من شرك ، ولازمه فتىً يافعاً في غدوّه ورواحه وسلمه وحربه حتى تخلّق بأخلاقه واتّسم بصفاته، وفقه عنه الدين وتفقّه ما نزل به الروح الأمين، فكان من أفقه أصحابه وأقضاهم وأحفظهم وأدعاهم وأدقّهم في الفتيا وأقربهم الى الصواب، حتى قال فيه عمر: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن[٢].

فكان العالم المجرّب الحكيم والناقد الخبير، وكان لطيف الحسّ، نقيّ الجوهر، وضّاء النفس، سليم الذوق، مستقيم الرأي، حسن الطريقة، سريع البديهة، حاضر الخاطر، عارفاً بمهمّات الأُمور[٣].

عبادته وتقواه(عليه السلام):

اشتهر عليّ بن أبي طالب بتقواه التي كانت علّة الكثير من تصرّفاته مع نفسه وذويه والناس... وفيما ترى العبادة لدى المعظم رجع أصداء الضعف في نفوسهم أحياناً، ومعنىً من معاني التهرّب من مواجهة الحياة والأحياء أحياناً أُخرى، وهوساً موروثاً ثمّ مدعوماً بهوس جديد مصدره تقديس الناس والمجتمع لكلّ موروث في أكثر الأحيان... تراها تشتهر عند الإمام أخْذاً من كلّ قوّة ووصلاً لأطراف الحلقة الخلقية التي تشتدّ وتمتدّ حتى تجمع الأرض والسماء، ومعنىً من معاني الجهاد في سبيل ما يربط الأحياء بكلّ خير، وهي على كلّ حال شيء من روح التمرّد على الفساد يريد محاربته من كلّ صوب، ثمّ على النفاق وروح الاستغلال والاقتتال من أجل المنافع الخاصّة.. وعلى المذلّة والفقر والمسكنة والضعف، ثمّ على سائر الصفات التي تميّز بها عصره المضطرب القلق.

إنّ من تبصّر في عبادة الإمام، تبيّن له أنّ علياً متمرّد في عبادته وتقواه، كما هو متمرّد في أُسلوبه في السياسة والحكم، ففي عبادته افتتان الشاعر يقف في هيكل الوجود الرحب صافي النفس ممتلئ القلب، حتى إذا انكشفت له جمالات هذا الكون؛ تجاوبت وما في كيانه من أصداء وأظلال وموازين، فأطلق هذه الكلمة الرائعة التي نرى فيها دستوراً كاملاً لتقوى الأحرار وعبادة عظماء النفوس: «وإنّ قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجّار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار»[٤].

إنّ عبادة الإمام ليست شيئاً من سلبيّة الخائف الهارب أو التاجر الراغب كما هي الحال عند الكثيرين من المتعبّدين، بل هي شيء من إيجابية الإنسان العظيم الواعي نفسه والكون على أساس من خبرة المجرّب وعقل الحكيم وقلب الشاعر.

وبهذا المفهوم للتقوى والعبادة كان عليّ يوجّه الناس الى أن يتّقوا الله في سبيل الخير الإنساني العام، أو قل: في سبيل أمر أجلّ من رغبة تجّار العبادات في نعيم الآخرة، كان يوجّههم الى التقوى لعلّ فيها ما يحملهم على أن يعدلوا وينصفوا المظلوم من الظالم فيقول: «عليكم بتقوى الله.. وبالعدل على الصديق والعدوّ»[٥]. ولا خير في التقوى في نظر الإمام؛ إلاّ إذا دفعتك الى أن تعترف بالحقّ قبل أن تشهد عليه، وألاّ تحيف على من تبغض ولا تأثم، والحياة ـ بهذا المعنى للعبادة ـ لا تبتغى لمتاع ولا تُرجى للذّة عابرة.

زُهده (عليه السلام):

لقد زهد عليّ في الدنيا وتقشّف، وكان صادقاً في زهده كما كان صادقاً في كلّ ما نتج عن يمينه أو بَدَر من قلبه ولسانه، زهد في لذّة الدنيا وسبب الدولة وعلّة السلطان وكلّ ما يطمح لبلوغه الآخرون، ويَرَوْن أنّه مرتكز وجودهم، فإذا هو يسكن مع أولاده في بيت متواضع تأوي اليه الخلافة لا المُلك، وإذا هو يأكل الشعير تطحنه امرأته بيديها فيما كان عمّاله يعيشون على أطايب الشام وخيرات مصر ونعيم العراق، وكثيراً ما كان يأبى على زوجته أن تطحن له، فيطحن لنفسه وهو أمير المؤمنين، ويأكل من الخبز اليابس الذي يكسره على ركبته، وكان إذا أرعده البرد واشتدّ عليه الصقيع لا يتّخذ له عدّة من دثار يقيه أذى البرد، بل يكتفي بما رقّ من لباس الصيف إغراقاً منه في صوفيّة الروح.

روى هارون بن عنترة عن أبيه، قال: دخلتُ على عليّ بالخورنق، وكان فصل شتاء، وعليه خلق قطيفة هو يرعد فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين! إن الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً وأنت تفعل ذلك بنفسك؟ فقال: «والله ما أرزؤكم شيئاً، وما هي إلاّ قطيفتي التي أخرجتها من المدينة»[٦].

وأتى أحدهم عليّاً بطعام نفيس حلو يقال له: الفالوذج، فلم يأكله عليّ ونظر اليه يقول: «والله إنّك لطيّب الريح حسن اللون طيّب الطعم، ولكن أكره أن أُعوّد نفسي ما لم تعتد»[٧].

ولعمري إنّ زهد عليّ هذا ليس إلاّ معنىً ومزاجاً من معاني فروسيّته ومزاجها وإن بدا للبعض أنّهما مختلفان.

وقد حملت هذه السيرة الطيّبة عمر بن عبدالعزيز ـ أحد خلفاء الأُسرة الأُموية التي تكره عليّاً وتختلق له السيّئات وتسبّه على المنابر ـ على أن يقول: أزهد الناس في الدنيا عليّ بن أبي طالب[٨].

والمشهور أنّ عليّاً أبى أن يسكن قصر الإمارة الذي كان معدّاً له بالكوفة، لئلاّ يرفع سكنه عن سكن أُولئك الفقراء الكثيرين الذين يقيمون في خِصاصهم البائسة، ومن كلامه هذا القول الذي انبثق عن أُسلوبه في العيش انبثاقاً: «أأقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين ولا أُشاركهم في مكاره الدهر؟!»[٩]

إباؤه وشهامته (عليه السلام):

مثّل عليّ بن أبي طالب الفروسيّة بأروع معانيها وبكلّ ما تنطوي عليه من ألوان الشهامة. والإباء والترفّع أصلان من أُصول روح الفروسيّة، فهما إذن من طبائع الإمام، لذلك كان بغيضاً لديه أن ينال أحداً من الناس بالأذى وإن آذاه، وأن يبادر مخلوقاً بالاعتداء ولو على ثقة بأنّ هذا المخلوق يقصد قتله.

وروح الإباء والترفّع هذه هي التي ارتفعت به عن مقابلة الأُمويين بالسباب يوم كانوا يرشقونه به.. بل إنّه منع على أصحابه أن ينالوا الأُمويين بالشتيمة المقذعة حتى قال لهم: «إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنّكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم؛ كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبّكم إيّاهم: اللهمّ احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم حتّى يعرف الحقّ مَن جهله، ويرعوي عن الغيّ والعدوان مَن لهج به »[١٠].

مروءته (عليه السلام) :

إنّ مروءة الإمام أندر من أن يكون لها مثيل في التأريخ، وحوادث المروءة في سيرته أكثر من أن تعدّ، منها أنّه أبى على جنده ـ وهم في حال من النقمة والسخط ـ أن يقتلوا عدوّاً تراجع، كما أبى عليهم أن يكشفوا ستراً أو يأخذوا مالاً، ومنها: أنّه حين ظفر بألدّ أعدائه الذين يتحيّنون الفرص للتخلّص منه؛ عفا عنهم وأحسن اليهم وأبى على أنصاره أن يتعقّبوهم بسوء وهم على ذلك قادرون[١١].

صدقه وإخلاصه (عليه السلام):

وتتماسك هذه الصفات الكريمة في سلسلة لا تنتهي؛ وبعضها على بعض دليل، ومن أروع حلقاتها: الصدق والإخلاص، وقد بلغ به الصدق مبلغاً أضاع به الخلافة، وهو لو رضي عن الصدق بديلاً في بعض أحواله؛ لما نال منه عدوّ ولا انقلب عليه صديق.. لقد رفض أن يقرّ معاوية على عمله وقال: «لا أُداهن في ديني ولا أُعطي الدنيّة في أمري»؟. ولمّا ظهرت حيلة معاوية؛ أطلق عبارته التي صحّت أن تكون صيغة للخلق العظيم: «والله ما معاوية بأدهى منّي، ولكنّه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر؛ لكنت من أدهى الناس»[١٢]. وقال مشدّداً على ضرورة الصدق مهما اختلفت الظروف: «الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرّك ، على الكذب حيث ينفعك»[١٣].

شجاعته (عليه السلام):

إن شجاعة الإمام هي من الإمام بمنزلة التعبير من الفكرة وبمثابة العمل من الإرادة، لأنّ محورها الدفاع عن طبع في الحق وإيمان بالخير، والمشهور أنّ أحداً من الأبطال لم ينهض له في ميدان.. فقد كان لجرأته على الموت لا يهاب صنديداً، بل إنّ فكرة الموت لم تجل مرة في خاطر الإمام وهو في موقف نزال، وأنّه لم يقارع بطلاً إلاّ بعد أن يحاوره لينصحه ويهديه.

وكان عليّ مع قوته البالغة يتورّع عن البغي أيّاً كان الظرف، وأجمع المؤرّخون على أنّه كان يأنف القتال إلاّ اذا حُمِل عليه حملاً، فكان يسعى أن يسوّي الأمور مع خصومه.. على وجوه سلميّة تحقن الدم وتحول دون النزال.

وطبيعة التورّع عن البغي أصل من أُصول نفسيّة عليّ وخلق من أخلاقه، وهي متّصلة اتّصالاً وثيقاً بمبدئه العام الذي يقوم بمعرفة العهد وصيانة الذمّة والرحمة بالناس حتى يخونوا كلّ عهد ويقسوا دون كلّ رحمة.

وما كان لعليّ أن يستنجد الصداقة على العداوة؛ لولا ذلك الفيض العظيم من الوفاء والحنان الذي تزخر به نفسه ويطغى على جنانه.

ولكنّ صاحب المودّات لم يرعَ أصدقاؤه له مودّة، لأنّهم لم يكونوا ليطمعوا بأن يحولوا بينه وبين نفسه، فيطلق أيديهم في خيرات الأرض دون سائر الخلق، يقول عليّ (عليه السلام): «والله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلُبها جَلبَ شعيرة ما فعلتُ، وإنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة»[١٤] وليس عليّ في هذا المجال قائلاً ثمّ عاملاً، بل هو القول يجري من طبيعة العمل الذي يُعمل

والشعور الذي يُحَسّ... فعليّ أكرم الناس مع الناس، وأبعد الخلق عن أن ينال الخلق بالأذى، وأقربهم الى بذل نفسه في سبيلهم على أن يقتنع ضميره بضرورة هذا البذل، أوَليست حياته كلّها سلسلة معارك في سبيل المظلومين والمستضعفين، وانتصاراً دائماً للأُمّة دون من يريدونه آلة إنتاج لهم من السادة ورثة الأمجاد العائلية، أولم يكن سيفاً صارماً فوق أعناق القرشيّين الذين أرادوا استغلال الخلافة والإمارة للسلطان والجاه وتكديس الأموال ؟! ألَمْ يَضع الخلافةَ والحياةَ على الأرض لأنّه أبى مسايرة أهل الدنيا في استعباد إخوانهم الضعفاء والفقراء والمظلومين ؟

عدله (عليه السلام):

ليس غريباً أن يكون عليٌّ أعدل الناس، بل الغريب أن لا يكونَهُ، وأخبار عليّ في عدله تراثٌ يشرّف المكانة الإنسانية والروح الإنساني.

وكان الإمام يأبى الترفّع عن رعاياه في المخاصمة والمقاضاة، بل إنّه كان يسعى الى المقاضاة إذا وجبت لتشبّعه بروح العدالة.

وتجري في روحه العدالة حتى أمام أبسط الأُمور، ووصايا الإمام ورسائله الى الولاة تكاد تدور حول محور واحد هو العدل، وقد انتصر العدل في قلب عليّ وقلوب أتباعه وإن ظلموا وظلم.

تواضعه (عليه السلام):

إنّ من أُصول أخلاق الإمام أنّه كان يعتمد البساطة ويمقت التكلّف. وكان يقول: «شر الإخوان من تكلّف له»[١٥]. ويقول: «إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارقه»[١٦] ويقصد بالاحتشام مراعاته حتى التكلّف.

وكان لا يتصنّع في رأي يراه أو نصيحة يسديها أو رزق يهبه أو مال يمنعه. وكانت هذه الطبيعة تلازمه حتى يسأم أصحاب الأغراض من استرضائه بالحيلة. وإذا هم ينسبون اليه القسوة والجفوة والزهو على الناس، وليس صدق الشعور وإظهاره زهواً وليس جفوة، بل إنّه كان يمقت الزهو والعجب.. ولطالما نهى ولدَه وأعوانه وعمّاله عن الكبر والعجب قائلاً: «إيّاك والإعجاب بنفسك، واعلم أنّ الإعجاب ضد الصواب وآفة الألباب»[١٧]. وكره التكلّف في محبّيه الغالين كما كره التكلّف في مبغضيه المفرطين فقال: «هلك فيّ اثنان: محبٌّ غال ومبغضٌ قال»[١٨].

لقد كان يخرج الى مبارزيه حاسر الرأس ومبارزوه مقنعون بالحديد، أفعجيب أن يخرج اليهم حاسر النفس وهم مقنعون بالحيلة والرياء؟.

نقاؤه (عليه السلام):

وتميّز عليّ بسلامة القلب، فهو لا يحمل ضغينة على مخلوق ولا يعرف حقداً على ألدّ أعدائه ومناوئيه ومن يحقدون عليه حسداً وكرهاً.

كرمه (عليه السلام):

وكان من خلقه أ نّه كان كريماً ولاحدود لكرمه، ولكنّه الكرم السليم بأصوله وغاياته لا كرم الولاة الذين «يكرمون» بأموال الناس وجهودهم. وهذا الكرم لم يعرفه عليٌّ مرّة في حياته، وإنّما كرمه هو الذي يعبّر عن جملة المروءات، ففيما كان يزجر ابنته زجراً شديداً إذ هي استعارت من بيت المال قلادة تتزيّن بها في عيد من الأعياد. كان يسقي بيده النخل لقوم من يهود المدينة حتى تمْجلَ يده فيتناول أُجرته فيهبها لأهل الفاقة والعوز ويشتري بها الأرقاء ويحرّرهم في الحال.

وقد شهد معاوية على كرم عليّ قائلاً: لو ملك عليّ بيتاً من تبر وبيتاً من تبن لأنفد تبره قبل تبنه[١٩].

علمه ومعارفه (عليه السلام) :

قال ابن أبي الحديد: «وما أقول في رجل تُعزى اليه كلّ فضيلة، وتنتمي اليه كلّ فرقة، وتتجاذبه كلّ طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عُذْرِها، وسابق مضمارها، ومجلّي حَلْبتها، كلّ من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى.

وإنّ أشرف العلوم ـ وهو العلم الالهي ـ ، من كلامه (عليه السلام) اقتبس وعنه نقل واليه انتهى ومنه ابتدأ... وعلم الفقه هو أصله وأساسه وكلّ فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ومستفيد من فقهه... وعلم تفسير القرآن عنه أُخذ ومنه فُرّع.. وعلم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوّف(؟!) إنّ أرباب هذا الفنّ في جميع بلاد الإسلام اليه ينتهون، وعنده يقفون.. وعلم النحو والعربية قد علم الناس كافة أنّه هو الذي ابتدعه وأنشأه، وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعَه وأُصولَه...»

ثم قال: «وأمّا الفصاحة فهو (عليه السلام) إمام الفصحاء وسيّد البلغاء، وفي كلامه قيل: (دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين)، ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة.. فوالله ما سنّ الفصاحة لقريش غيره، ويكفي هذا الكتاب الذي نحن شارحوه دلالةً على أنّه لا يجارى في الفصاحة ولا يُبارى في البلاغة...»

ثم قال: «وأمّا الزهد في الدنيا فهو سيّد الزهاد، وبدل الأبدال، وإليه تشدّ الرحال، وعنده تُنْفَضُ الأحلاس، ما شبع من طعام قطّ، وكان أخشنَ الناس مأكلاً وملبساً».

وأمّا العبادة فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاةً وصوماً، ومنه تعلّم الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة، وما ظنّك برجل يبلغ من محافظته على وِرده أن يُبسَط له نِطَعٌ بين الصفّين ليلةَ الهرير[٢٠] فيصلّي عليه ورده والسهام تقع بين يديه وتمرّ على صِماخيه يميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته... وأنت إذا تأمّلت دعواته ومناجاته ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله وما يتضمّنه من الخضوع لهيبتهِ والخشوع لعزّته والاستخذاء له؛ عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص، وفهمت من أيّ قلب خرجت، وعلى أيّ لسان جَرَت. وقال عليّ بن الحسين وكان الغاية في العبادة: عبادتي عند عبادة جدّي كعبادة جدّي عند عبادة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وأمّا قراءته القرآن واشتغاله به فهو المنظور اليه في هذا الباب؛ اتّفق الكلّ على أنّه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولم يكن غيره يحفظه، ثمّ هو أوّل من جمعه. وإذا رجعت الى كتب القراءات وجدت أئمّة القرّاء كلّهم يرجعون اليه.

وما أقول في رجل تحبّه أهل الذمّة على تكذيبهم بالنبوّة، وتعظّمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملّة، وتصوِّر ملوك الإفرنج والروم صورته في بِيَعها وبيوت عباداتها، حاملاً سيفه؟ وما أقول في رجل أحبّ كلّ واحد أن يتكثّر به، وودّ كلّ أحد أن يتجمّل ويتحسّن بالانتساب إليه؟

وما أقول في رجل سبق الناس الى الهدى.. لم يسبقه أحد الى التوحيد إلاّ السابق لكلّ خير محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله)[٢١]؟

[١] مقدمة شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ٣ .

[٢] مناقب آل أبي طالب: ٣٦١/٢ ط دار الأضواء.

[٣] راجع: مقدمة شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم.

[٤] نهج البلاغة طبعة صبحي الصالح : ٥١٠ الحكمة ٢٣٧ ط دار الهجرة قم.

[٥] بحار الأنوار: ٢٣٦/٧٧ باب وصيّة أمير المؤمنين(عليه السلام) ط الوفاء.

[٦] بحار الأنوار : ٣٣٤/٤٠ ط الوفاء.

[٧] المصدر السابق : ٣٢٧/٤٠.

[٨] المصدر السابق : ٣٣١/٤٠ باب ٩٨ ذ ح ١٣ ط الوفاء.

[٩] نهج البلاغة طبعة صبحي الصالح: ٤١٨ الكتاب ٤٥ .

[١٠] نهج البلاغة طبعة صبحي الصالح: ٣٢٣ ، الخطبة ٢٠٦.

[١١] البداية والنهاية: ٧ / ٢٧٦.

[١٢] نهج البلاغة، الخطبة : ٢٠٠.

[١٣] نهج البلاغة، قصار الحكم: ٤٥٨.

[١٤] نهج البلاغة، الخطبة: ٢٢٤.

[١٥] نهج البلاغة، قصار الحكم: ٤٧٩.

[١٦] المصدر السابق: ٤٨٠

[١٧] المصدر السابق من كتاب ٣١ رقم ٥٧.

[١٨] نهج البلاغة : ١١٧.

[١٩] تاريخ دمشق لابن عساكر : ٤١٤/٤٣ ترجمة علي بن أبي طالب(عليه السلام).

[٢٠] هي أشد ليلة مرّت على الجيشين في معركة صفّين، راجع مروج الذهب : ٢ / ٣٨٩ .

[٢١] من مقدمة ابن أبي الحديد لشرح نهج البلاغة ١ / ١٦ ـ ٣٠ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم.

الباب الثّاني

الفصل الأوّل

نشأة الإمام عليّ (عليه السلام)

نسبه الوضّاء :

هو الإِمام أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين عليّ بن أبي طالب بن عبدالمطلب ابن هاشم بن عبدمناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان.

جدّه الكريم :

عبدالمطلب شيبة الحمد، وكنيته أبو الحرث، وعنده يجتمع نسبه بنسب النبيّ (صلى الله عليه وآله)وكان مؤمناً بالله تعالى، ويعلم بأنّ محمداً سيكون نبيّاً[١].

ولمّا حضرت عبدالمطلب الوفاة دعا ابنه أبا طالب، فقال له: يا بني! قد علمت شدّة حبّي لمحمّد (صلى الله عليه وآله) ووجدي به أنظر كيف تحفظني فيه؟.. قال أبو طالب: يا أبه! لا توصني بمحمّد فإنّه ابني وابن أخي[٢].

والده :

عبد مناف، وقيل: عمران، وقيل: شيبة، وكنيته أبو طالب، وهو أخو عبدالله والد النبيّ (صلى الله عليه وآله) لأُمّه وأبيه. ولد أبو طالب بمكّة قبل ولادة النبيّ (صلى الله عليه وآله) بخمس وثلاثين سنة، وانتهت إليه بعد أبيه عبدالمطلب الزعامة المطلقة لقريش، وكان يروي الماء لوفود مكّة كافّة لأنّ السقاية كانت له، ورفض عبادة الأصنام فوحّد الله سبحانه، ومنع نكاح المحارم وقتل الموؤدة والزنا وشرب الخمر وطواف العراة في بيت الله الحرام[٣]. ولمّا توفّي عبدالمطلب؛ تكفّل أبو طالب رعاية رسول الله(صلى الله عليه وآله) فكان أبو طالب يحبّه حبّاً شديداً لا يحبّه ولده، وكان لا ينام إلاّ إلى جنبه، ويخرج فيخرج معه، وكان يخصّه بالطعام دون أولاده.

وروي أنّ أبا طالب دعا بني عبدالمطلب فقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمّد (صلى الله عليه وآله) وما اتّبعتم أمره، فاتّبعوه وأعينوه ترشدوا. وما زالت قريش كافّة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى مات أبو طالب[٤].

توفّي أبو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين وبعد خروج بني هاشم مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) من الشِعب وعمره بضع وثمانون سنة[٥]، وكان للنبي (صلى الله عليه وآله) تعلّق شديد بأبي طالب، فقد عاش في كنفه (٤٣) عاماً منذ الثامنة من عمره الشريف حينما توفّي جدّه عبدالمطلب.. وقد ثبت أنّ أبا طالب كان موحّداً مؤمناً بالله ومعتقداً بالإسلام أرسخ الاعتقاد، وبقي على حاله هذه حتى وافاه الأجل، وإنّما أخفى إيمانه ليتمكّن أن يكون له شأن واتّصال مع كفّار مكّة، وليطّلع على مكائدهم ومؤامراتهم، فكان يعيش حالة التقيّة، وكان مثله كأصحاب الكهف في قومهم، وهو ممّن آتاهم الله أجرهم مرّتين لإيمانه وتقيّته[٦].

أمّه :

فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف، تجتمع هي وأبو طالب في هاشم، أسلمت وهاجرت مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) وكانت من السابقات إلى الإيمان وبمنزلة الأمّ للنبيّ (صلى الله عليه وآله)[٧] ربّته في حجرها، ولمّا ماتت فاطمة بنت أسد؛ دخل إليها رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجلس عند رأسها وقال: «رحمك الله يا أُمي، كنت أُمّي بعد أُمّي، تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعميني، تريدين بذلك وجه الله والآخرة».

وغمّضها، ثمّ أمر أن تغسل بالماء ثلاثاً، فلمّا بلغ الماء الّذي فيه الكافور سكبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيده، ثمّ خلع قميصه فألبسه إيّاها وكفّنت فوقه ودعا لها أُسامة بن زيد مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطّاب وغلاماً أسود فحفروا لها قبرها، فلمّا بلغوا اللّحد حفره رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيده، وأخرج ترابه ودخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبرها فاضطجع فيه، ثمّ قال: «الله الّذي يحيي ويميت، وهو حيّ لا يموت، اللّهمّ اغفر لأُمّي فاطمة بنت أسد بن هاشم، ولقّنها حجتها، ووسّع عليها مدخلها بحقّ نبيّك والأنبياء من قبلي، فإنّك أرحم الراحمين» وأدخلها رسول الله (صلى الله عليه وآله) اللحد والعباسُ وأبو بكر[٨].

فقيل: يارسول الله رأيناك وضعت شيئاً لم تكن وضعته بأحد من قبل: فقال (صلى الله عليه وآله): «ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنّة، واضطجعت في قبرها ليخفّف عنها من ضغطة القبر، إنّها كانت من أحسن خلق الله صُنعاً إليّ بعد أبي طالب رضي الله عنهما ورحمهما»[٩].

الفصل الثّاني

مراحل حياة الإمام عليّ (ع)

ولد الإمام علي (ع) قبل البعثة النبوية بعقد واحد، وعاصر ارهاصات البعثة وكل حركة الرسالة خلال العهد المكّي – وهو عهد بناء الامة المسلمة وتكوين القاعدة الرسالية الصلبة – كما عاصر كل أحداث العهد المدني، حيث تم فيه بناء الدولة الإسلامية بقيادة سيّد المرسلين (ص)، وساهم بكل وجوده في بناء هذا الكيان الشامخ حتى تجلّى للجميع عمق وجوده في هذا البناء الرسالي الفريد.

وحمل الامام (ع) بأمر من رسول الله (ص) مشعل الهداهية الربّانية والقيادة الاسلامية بعد وفاة الرسول (ص) رغم تراجع جمع من الصحابة وتمرّدهم على نصوص الرسول (ص) وخذلانهم للإمام (ع) والحيولة دون استلامه للقيادة السياسية..ولكنه استمر في انجاز مهمامّه الرسالية في تلك الظروف العصيبة وعايس الخلفاء رغم انه كان يرى محلّه من القيادة محل القطب من الرحى..فصبر وفي العين قذى مدة عقدين وصنف عقد حتّى انكشفت للأمة جملة من نتائج انحرافها الخطير عن تخطيط الرسول الأمين.

من هنا الجتأت الامّة الى الإمام لتسلم له زمام أمرها بعد تلك الخطوب وذلك التصدع الذي طال كيانه فحمل عبء القيادة بكل جدارة خلال نصف عقد فقط حتّى قدّم دمه الطاهر في سبيل الله رخيصا يبتغي به رضوان الله تعالى تثبيتا للقيم الرسالية التي جاهد من أجل ارسائها في وجدان المجتمع الإسلامي وضمير المجتمع الإنساني.

وعلى هذا تنقسم حياة الإمام عليّ بن أبي طالب (ع) الى شطرين رئيسين:

الشطر الأول: حياته منذ ولادته وحتّى وفاة سيد المرسلين (ص).

الشطر الثاني: حياته من حين وفاة الرسول الأعظم (ص) وتولّيه لمهامّ الإمامة الشرعية وحتّى استشهاده (ع) في محراب العبادة.

ونظرا لتنوّع الأدوار والظروف التي عاشها (ع) يمكننا أن نصنّف حياته إلى عدّة مراحل:

المرحلة الأولى: من الولادة إلى البعثة النبويّة المباركة.

المرحلة الثانية: من البعثة إلى الهجرة.

المرحلة الثالثة: من الهجرة إلى وفاة الرسول (ص).

وهذه المراحل الثلاث تدخل في الشطر الأول من حياته وقد تجلّى فيها انقياده المطلق للرسول (ص) والدفاع المستميت عن الرسالة والرسول (ص) .

المرحلة الرابعة: حياة الإمام في عهد (أبي بكر وعمر وعثمان).

المرحلة الخامسة: حياته في عهد دولته.

وسوف ندرس المراحل الثلاث الأولى في الفصل الثالث من الباب الثاني.

كما نبحث عن المرحلة الرابعة من حياته في الباب الثالث بفصوله الأربعة، ونخصص الباب الرابع بالمرحلة الخامسة من حياته (ع).

[١] الطبقات لمحمد بن سعد: ١ / ٧٤ ط. ليدن.

[٢] كمال الدين للصدوق : ١٧٠ ط النجف الأشرف و ١٧٢ ط طهران عن ابن عباس. وفي موسوعة التاريخ الإسلامي: ٢٨٥/١.

[٣] روضة الواعظين للفتال: ١٢١ ـ ١٢٢ وصية أبي طالب لبني هاشم.

[٤] الطبقات لابن سعد: ١ / ٧٥.

[٥] الكامل في التأريخ لأبن الأثير: ٢ / ٩٠، راجع : موسوعة التاريخ الإسلامي : ٤٣٦/١.

[٦] بحار الأنوار: ٣٥ / ٧٢. وانظر: منية الطالب في ايمان أبي طالب للشيخ الطبسي، وأبو طالب مؤمن قريش للشيخ عبدالله الخُنيزي وموسوعة التاريخ الإسلامي: ٥١٤/١ ـ ٥١٧ و ٥٩٦ ـ ٦٠١.

[٧] الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٣١.

[٨] بصائر الدرجات : ٧١ عن الصادق(عليه السلام)، وراجع: موسوعة التاريخ الإسلامي: ٤٣٣/٢ ـ ٤٣٧.

[٩] الفصول المهمة لابن الصباغ: ٣٢، وفي فرائد السمطين: ١ / ٣٧٩: «صنعت شيئاً لم تصنعه بأحد» وروى اسلام فاطمة بنت أسد وهجرتها وحنانها ورعايتها للرسول ووفاتها وما قال النبي (صلى الله عليه وآله) في فضلها كثير من الحفّاظ والمؤلّفين في كتبهم كابن عساكر وابن الأثير وابن عبدالبرّ ومحب الدين الطبري ومحمد بن طلحة والشبلنجي وابن الصبّاغ البلاذري وغيره

الفصل الثّالث

المرحلة الاولى : من الولادة الى البعثة النبوية المباركة

ولادته :

قال عليّ (عليه السلام): «فإنّي ولدتُ على الفطرة وسَبقتُ إلى الإيمان والهجرة»[١].

ولِد الإمام عليّ (عليه السلام) بمكّة المشرّفة داخل البيت الحرام وفي جوف الكعبة في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، ولم يولد في بيت الله الحرام قبله أحد سواه، وهي فضيلة خصّه الله تعالى بها إجلالاً له وإعلاءً لمرتبته وإظهاراً لتكرمته[٢].

روي عن يزيد بن قعنب أنّه قال: كنت جالساً مع العباس بن عبدالمطلب وفريق من بني عبدالعزّى بإزاء بيت الله الحرام إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أُمّ أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكانت حاملاً به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق، فقالت: ياربّ إنّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنّي مصدّقة بكلام جدّيّ إبراهيم الخليل (عليه السلام) وإنّه بنى البيت العتيق، فبحقّ الّذي بنى هذا البيت، وبحقّ المولود الّذي في بطني إلاّ ما يسّرت عليَّ ولادتي.

قال يزيد: فرأيت البيت قد انشق عن ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا وعاد الى حاله والتزق الحائط، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أنّ ذلك أمر من أمر الله عزّ وجلّ، ثمّ خرجت في اليوم الرابع وعلى يدها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٣].

وأسرع البشير إلى أبي طالب وأهل بيته فأقبلوا مسرعين والبِشر يعلو وجوههم، وتقدّم من بينهم محمّد المصطفى (صلى الله عليه وآله) فضمّه الى صدره، وحمله الى بيت أبي طالب ـ حيث كان الرسول في تلك الفترة يعيش مع خديجة في دار عمه منذ زواجه ـ وانقدح في ذهن أبي طالب أن يسمّي وليده «عليّاً» وهكذا سمّاه، وأقام أبو طالب وليمةً على شرف الوليد المبارك، ونحر الكثير من الأنعام[٤].

كناه وألقابه :

إن لأمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) ألقاباً وكنىً ونعوتاً يصعب حصرها والإلمام بها، وكلّها صادرة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) في شتى المواقف والمناسبات العديدة التي وقفها (عليه السلام) لنشر الإسلام والدفاع عنه وعن الرسول.

فمن ألقابه (عليه السلام): أمير المؤمنين، ويعسوب الدين والمسلمين، ومبير[٥]الشرك والمشركين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، ومولى المؤمنين، وشبيه هارون، والمرتضى، ونفس الرسول، وأخوه، وزوج البتول، وسيف الله المسلول، وأمير البررة، وقاتل الفجرة، وقسيم الجنّة والنار، وصاحب اللواء، وسيّد العرب، وخاصف النعل، وكشّاف الكرب، والصدّيق الأكبر، وذو القرنين، والهادي، والفاروق، والداعي، والشاهد، وباب المدينة، والوالي، والوصيّ، وقاضي دين رسول الله، ومنجز وعده، والنبأ العظيم، والصراط المستقيم، والأنزع البطين[٦].

وأمّا كناه فمنها: أبو الحسن، أبو الحسين، أبوالسبطين، أبو الريحانتين، أبو تراب.

الإعداد النبويّ للإمام عليّ (عليه السلام) :

كان النبيّ (صلى الله عليه وآله) يتردّد كثيراً على دار عمّه أبي طالب بالرغم من زواجه من خديجة وعيشه معها في دار منفردة، وكان يشمل عليّاً (عليه السلام)بعواطفه، ويحوطه بعنايته، ويحمله على صدره، ويحرّك مهده عند نومه الى غير ذلك من مظاهر العناية والرعاية[٧].

وكان من نِعَم الله عزّ وجلّ على عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وما صنع الله له وأراده به من الخير أنّ قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) للعبّاس ـ وكان من أيسر بني هاشم ـ : «يا عبّاس، إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمة، فانطلق بنا، فلنخفّف عنه من عياله، آخذُ من بيته واحداً، وتأخذ واحداً، فنكفيهما عنه، قال العباس: نعم.

فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له: إنّا نريد أن نخفّف عنك من عيالك حتّى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ماشئتما، فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّاً (عليه السلام) فضمّه إليه وكان عمره يومئذ ستة أعوام، وأخذ العبّاس جعفراً، فلم يزل عليّ بن أبي طالب مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى بعثه الله نبيّاً، فاتّبعه عليّ(عليه السلام) فآمن به وصدّقه، ولم يزل جعفر عند العبّاس حتّى أسلم واستغنى عنه[٨].

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أن اختار عليّاً (عليه السلام): «قد اخترت من اختاره الله لي عليكم عليّاً»[٩].

وهكذا آن لعليّ (عليه السلام) أن يعيش منذ نعومة أظفاره في كنف محمّد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث نشأ وترعرع في ظل أخلاقه السماويّة السامية، ونهل من ينابيع مودّته وحنانه، وربّاه (صلى الله عليه وآله) وفقاً لما علّمه ربّه تعالى، ولم يفارقه منذ ذلك التأريخ.

وقد أشار الإمام عليّ (عليه السلام) الى أبعاد التربية التي حظي بها من لدن أُستاذه ومربّيه النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) ومداها وعمق أثرها، وذلك في خطبته المعروفة بالقاصعة: «وقد علمتم موضعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة[١٠]، وضعني في حجره وأنا ولد، يضمّني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسّني جَسده، ويشمّني عَرْفه[١١]، وكان يمضع الشيء ثمّ يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولاخطلة[١٢] في فعل».

الى أن قال: «ولقد كنت أتّبعه اتباع الفصيل[١٣] أثر أُمّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً[١٤]، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء[١٥]، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوّة، ولقد سمعت رنّة[١٦] الشيطان حين نزل الوحي عليه (صلى الله عليه وآله) فقلت: يارسول الله، ما هذه الرنّة؟ فقال: هذا الشيطان آيس من عبادته، إنّك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلاّ أ نّك لست بنبيّ، ولكنّك وزير، وأ نّك لعلى خير»[١٧].

المرحلة الثانية : من البعثة الى الهجرة

عليّ (عليه السلام) أول المؤمنين برسول الله (صلى الله عليه وآله) :

لقد نشأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) على قيم إلهية سامية كما صرّح بذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: (وإنّك لعلى خلق عظيم)[١٨]، فكان النموذج المغاير لإنسان الجزيرة في معتقده وتفكيره وسلوكه وأخلاقه، فسلك منذ نعومة أظفاره خطّاً موازياً لقيم رسالات الأنبياء سيّما شيخهم إبراهيم الخليل (عليه السلام)، وكان في قناعة الرسول (صلى الله عليه وآله) أنّ هذا الخطّ لا يلتقي بقيم المجتمع الجاهلي، من هنا بدأ (صلى الله عليه وآله) بإنشاء نواة الأسرة المؤمنة المتكونة منه وخديجة وعليّ (عليهم السلام).

وقرّر أن يشقّ مجرى التأريخ، وأن يفتح طريقاً وسط التيار العام، وأن يقاوم بتلك الأُسرة الانحراف السائد، وأن يُحدث موجاً هادراً يتحوّل شيئاً فشيئاً إلى تيار جارف للوثنية والجاهلية من ربوع الأرض، إنّ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) والذي تربّى في حِجر الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يسجد لصنم قطّ، ولم يُشرك بالله

طرفة عين. وعندما نزل الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان عليّ (عليه السلام) الى جانبه، وكان أوّل من آمن برسالته (صلى الله عليه وآله) كما شهدت بذلك عامّة مصادر التأريخ.

وعن أنس بن مالك قال : أُنزلت النبوّة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم الإثنين وصلّى عليّ (عليه السلام) يوم الثلاثاء[١٩].

كما روي عن سلمان الفارسي أنّه قال: أوّل هذه الأمّة وروداً على نبيّها (صلى الله عليه وآله) الحوض، أوّلها إسلاماً عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢٠].

وعن العباس بن عبدالمطلب أنّه سمع عمر بن الخطاب وهو يقول: كفّوا عن ذكر عليّ بن أبي طالب إلاّ بخير، فإنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: في عليّ ثلاث خصال، وددت أنّ لي واحدةً منهنّ، كلّ واحدة منهنّ أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس، وذلك أنّي كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة بن الجرّاح ونفر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ ضرب النبي على كتف عليّ بن أبي طالب وقال: يا عليّ، أنت أوّل المسلمين إسلاماً، وأنت أول المؤمنين إيماناً، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى، كذب من زعم أنّه يحبّني وهو مبغضك[٢١].

وإذ اتّفق المؤرّخون على أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أوّل الناس إسلاماً[٢٢]؛ فقد اختلفوا في سنّه حين أعلن اسلامه، والخوض في تحديد عمر الإمام (عليه السلام) حين إسلامه لا يُجدي نفعاً بعد أن عرفنا أنّه لم يكفر حتى يُسلم ولم يشرك حتّى يؤمن، ولقد قال سلام الله عليه: «ولدت على الفطرة»، ومن هنا اتّفقت كلمة المحدّثين جميعاً على احترام هذه الفضيلة وتقديسها بقولهم له حين ذكره «عليّ كرّم الله وجهه» فكان الإسلام في أعماق قلبه بعد أن احتضنه حجر الرسالة، وغذّته يد النبوّة، وهذّبه الخلق النبوّي العظيم.

قال الأُستاذ العقّاد وهو يتحدّث عن الإمام عليّ (عليه السلام): لقد ولد مسلماً على التحقيق إذا نحن نظرنا إلى ميلاد العقيدة والروح، لأنّه فتح عينيه على الإسلام، ولم يعرف قطّ عبادة الأصنام، فهو قد تربّى في البيت الّذي انطلقت منه الدعوة الإسلاميّة، وعرف العبادة من صلاة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وزوجته الطاهرة قبل أن يعرفها من صلاة أبيه وأُمّه[٢٣].

علّي (عليه السلام) أوّل من صلّى :

عاش الإمام عليّ (عليه السلام) مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) كلّ متغيّرات حياة الرسول الأعظم، فكان يرى في محمّد المثل الكامل الّذي يُشبع تطلعاته وعبقرياته، فكان يحاكيه في أفعاله ويرصده في حركاته ويقتدي

به ويطيعه في كلّ أوامره ونواهيه قبل البعثة النبويّة الشريفة وحتى آخر لحظة من عمر النبيّ (صلى الله عليه وآله)، كما أجمع المؤرّخون على أنّه لم يردّ على رسول الله كلمة قطّ.

وقد صرّح الإمام (عليه السلام) بأنّه أوّل من صلى بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) قائلاً:

«لم يسبقني إلاّ رسول الله بالصلاة».[٢٤]

كما روي عن حبّة العرني أنّه قال: رأيت عليّاً (عليه السلام) يوماً ضحك ضحكاً لم أره ضحك ضحكاً أشدّ منه حتى أبدى ناجذه، ثمّ قال: «اللّهم لا أعرف أنّ عبداً من هذه الأمّة عبدك قبلي غير نبيّها(صلى الله عليه وآله)»[٢٥].

وجاء في تفسير قوله تعالى: (واركعوا مع الراكعين)[٢٦] عن ابن عباس: أنّها نزلت في رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعليّ بن أبي طالب وهما أول من صلّى وركع[٢٧].

كما جاء عن أنس بن مالك: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «صلّت الملائكة عليَّ وعلى عليٍّ سبعاً، وذلك أنّه لم يرفع إلى السماء شهادة لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله إلاّ منّي ومنه»[٢٨].

أوّل صلاة جماعة في الإسلام :

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل بدء أمره إذا أراد الصلاة خرج إلى شعاب مكّة مستخفياً، وأخرج عليّاً (عليه السلام) معه فيصلّيان ما شاء الله، فإذا قضيا رجعا الى مكانهما، فمكثا يصلّيان على استخفاء من أبي طالب وسائر عمومتهما وقومهما، ثمّ إنّ أبا طالب مرّ عليهما فقال لرسول الله (صلى الله عليه وآله): ما هذا الذي أراك تدين به؟

قال (صلى الله عليه وآله): «هذا دين الله وملائكته ودين رسله ودين أبينا ابراهيم، بعثني الله به نبيّاً إلى العباد، وأنت ياعمّ أحقّ من أبديتُ النصيحة له ودعوتُه إلى الهدى، وأحقّ من أجابني چاليه وأعانني عليه».

وقال عليّ (عليه السلام): «يا أبت، قد آمنت برسول الله (صلى الله عليه وآله) واتّبعته وصلّيت معه لله».

فقال له: يا بُنيّ، أما إنّه لم يدعك إلاّ إلى الخير فالزمه[٢٩].

وهناك موقف آخر لعمّه العباس رواه عفيف الكندي حيث قال:

كنت إمرأً تاجراً فقدمت الحجّ، فأتيت العباس بن عبد المطّلب لأبتاع منه بعض التجارة، فوالله إنّي لعنده بمنى إذ خرج رجل من خِباء قريب منه، فنظر إلى الشمس فلمّا رآها قد مالت قام يصلّي، ثمّ خرجت امرأة من ذلك

الخباء الذي خرج منه ذلك الرجل، فقامت خلفه تصلّي، ثمّ خرج غلام راهق الحلم من ذلك الخِباء فقام معه يصلّي، فقلت للعبّاس: ما هذا يا عبّاس؟ قال: هذا محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي، فقلت: من هذه المرأة؟ قال: امرأته خديجة بنت خويلد، قلت: من هذا الفتى؟ قال: عليّ بن أبي طالب ابن عمّه، قلت: ما هذا الذي يصنع؟ قال: يصلّي وهو يزعم أنّه نبيّ، ولم يتبعه على أمره إلاّ امرأته وابن عمّه هذا الغلام، وهو يزعم أنّه سيفتح على أُمّته كنوزَ كسرى وقيصر[٣٠].

نعم، بعد أن تشكّلت نواة الأُ مّة الإسلامية المباركة من رسول الله وعليّ وخديجة، وأخذ خبر الدين الجديد يتفشّى في صفوف القرشيين، وطفق الذين هداهم الله للإيمان يتقاطرون على الإسلام، وأخذ عود المسلمين يقوى ويشتدّ أزره، وبعد عدّة سنوات تحوّل الى كيان قويّ وقادر على الإعلان عن نفسه على الجماهير والمواجهة والتحدّي من أجل الدين والعقيدة.. فأمر الله سبحانه وتعالى نبيّه الكريم (صلى الله عليه وآله) أن يصدع بما يؤمر، وكان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل ذلك إذا أرادوا الصلاة يذهبون إلى الشعاب فيستخفون، فلما صلّى بعض الصحابة في الشعب اطّلع عليهم نفر من المشركين منهم أبو سفيان بن حرب والأخنس بن شريق وغيرهما، فسبّوهم وعابوهم حتى قاتلوهم[٣١].

[١] نهج البلاغة «صبحي الصالح»: الخطبة ٥٧ ص٩٢، وأمالي الطوسي: ص٣٦٤ الرقم ٧٦٥، ومناقب آل أبي طالب: ٢ / ١٠٧، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ٤ / ١١٤، وبحار الأنوار: ٤١ / ٢١٧.

[٢] خصائص أمير المؤمنين للشريف الرضي: ٣٩، والغدير للأميني: ٦ / ٢٢، والمستدرك للحاكم النيشابوري: ٤٨٣/٣، والكفاية للحافظ الكنجي الشافعي والخريدة الغيبيّة في شرح القصيدة العينيّة للآلوسي صاحب التفسير، ومروج الذهب للمسعودي، والسيرة النبوية، وموسوعة التاريخ الإسلامي: ٣٠٦/١ ـ ٣١٠.

[٣] علل الشرائع للصدوق: ص٥٦، وروضة الواعظين للفتال النيسابوري: ص٦٧، وبحار الأنوار: ٣٥ / ٨ ، وكشف الغمة للأربلي: ١ / ٨٢ .

[٤] بحار الأنوار: ٣٥ / ١٨.

[٥] اليعسوب: يقصد به هنا سيّد قومه. المبير: المهلك.

[٦] كشف الغمة للأربلي: ١ / ٩٣. وقد وردت ألقاب أُخرى عديدة لأمير المؤمنين في مصادر الرواة والمحدّثين منها: صحيح الترمذي والخصائص للنسائي والمستدرك للحاكم النيسابوري وحلية الأولياء للأصفهاني وأُسد الغابة لابن الأثير وتأريخ الإسلام للذهبي وغيرهم.

[٧] بحار الأنوار: ٣٥ / ٤٣.

[٨] تأريخ الطبري: ٢ / ٥٨ ط مؤسسة الأعلمي بيروت، وشرح ابن أبي الحديد: ١٣ / ١٩٨، وينابيع المودة: ٢٠٢، وكشف الغمة: ١ / ١٠٤، وموسوعة التاريخ الإسلامي : ١ / ٣٥١ ـ ٣٥٦.

[٩] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ١٥ ، نقلاً عن البلاذري والأصفهاني.

[١٠] الخصيصة: الخاصة.

[١١] عرفه (بالفتح): رائحته، وأكثر استعماله في الطيب.

[١٢] الخطلة: الخطأ ينشأ من عدم الرؤية.

[١٣] الفصيل: ولد الناقة.

[١٤] عَلَماً: فضلاً ظاهراً.

[١٥] حراء: جبل قرب مكّة.

[١٦] رنّة الشيطان: صوته.

[١٧] شرح نهج البلاغة للفيض: ٨٠٢ ، الخطبة ٢٣٤.

[١٨] القلم (٦٨) : ٤.

[١٩] تأريخ دمشق لابن عساكر: ١ / ٤١، والكامل في التأريخ: ٢ / ٥٨، وتأريخ الطبري: ٢ / ٥٥، وسنن الترمذي: ٥ / ٦٠٠ الحديث ٣٧٣٥.

[٢٠] الاستيعاب لابن عبدالبرّ المالكي بهامش الإصابة: ٣ / ٢٩، وتأريخ الطبري: ٢ / ٥٥ وفيه: عليّ أول من أسلم، وفي تأريخ دمشق لابن عساكر: ١ / ٣٢، ٣٦، ٦٥ ذكر أنّ علياً أول من أسلم، وتأريخ بغداد: ٢ / ٨١ رقم ٤٥٩.

[٢١] الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ١٢٦، وتأريخ دمشق لابن عساكر: ١ / ٣٣١ رقم الحديث ٤٠١.

[٢٢] من مصادر حديث أنّ علي بن أبي طالب أول من أسلم: سنن البيهقي: ٦ / ٢٠٦، ومسند أبي حنيفة: رقم ٣٦٨ ص١٧٣، وتأريخ الطبري: ٢ / ٥٥ ط مؤسسة الأعلمي، والكامل في التأريخ: ٢ / ٥٧، وأُسد الغابة: ٤ / ١٦، تاريخ ابن خلدون : ج٣ / ص٧١٥ ، بدء الوحي والسيرة النبوية: ١ / ٢٦٢، والسيرة الحلبية: ١ / ٤٣٢، ومروج الذهب: ٢ / ٢٨٣، وعيون الأثر: ١ / ٩٢، والإصابة في معرفة الصحابة: ٢ / ٥٠٧، وتأريخ بغداد للخطيب البغدادي: ٢ / ١٨.

[٢٣] عبقرية الإمام علي، عباس محمّود العقّاد: ص٤٣. وقد ذكر العلاّمة الأميني في كتابه الغدير: ٣ / ٢٢٠ - ٢٣٦ ما يربو على ٦٦ حديثاً في أسبقية إسلام الإمام عليّ (عليه السلام) على غيره من الصحابة.

[٢٤] نهج البلاغة للفيض: ٣٩٧ الخطبة ١٣١.

[٢٥] تأريخ دمشق لابن عساكر: ١ / ٤٩ رقم الحديث ٨٨ .

[٢٦] البقرة (٢) : ٤٣.

[٢٧] شواهد التنزيل للحسكاني: ١ / ٨٥ .

[٢٨] المناقب لابن المغازلي: ١٤ رقم الحديث ١٩، وروى نحوه الشيخ المفيد في الارشاد: ٣٠ الفصل ١ الباب ٢، وأُسد الغابة لابن الأثير: ٤ / ١٨ مثله.

[٢٩] الفصول المهمّة لابن الصباغ: ٣٣، والكامل في التأريخ: ١ / ٥٨ ، وأخرج مثله الطبري في تأريخه: ٢ / ٥٨.

[٣٠] مسند أحمد: ١ / ٢٩، والخصائص للنسائي: ٣، وتأريخ دمشق لابن عساكر: ١ / ٥٨، وكفاية الطالب للكنجي: ١٢٩، والكامل في التأريخ: ٢ / ٥٧.

[٣١] الكامل في التأريخ: ٢ / ٦٠، السيرة النبوية: ٣١٥/١ ط دار الفرقان بيروت - لبنان.

عليٌّ (عليه السلام) حين إعلان الرسالة :

حديث يوم الإنذار :

وحديث يوم الإنذار هو الحديث الخاص عن اجتماع عشيرة النبيّ (صلى الله عليه وآله) بدعوة منه لغرض دعوتهم الى بيعته ومؤازرته، وكان أوّل من أعلن استجابته لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك اليوم من عشيرته الأقربين: هو عليّ بن أبي طالب (عليه السلام). وقد ذكر المفسّرون والمؤرّخون ومنهم الطبري في تأريخه وتفسيره معاً أنّه لمّا نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين) على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وضاق ذرعاً لما كان يعلم به من معاندة قريش وحسدهم، فدعا عليّاً (عليه السلام) ليعينه على الإنذار والتبليغ.

قال الإمام عليّ (عليه السلام): دعاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا عليّ، إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت ذرعاً وعلمت أنّي متى أُبادرهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتّ عليه حتى جاءني جبرئيل فقال: يا محمّد إلاّ تفعل ما تؤمر به يعذّبك ربّك.

فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عُسّاً من لبن، واجمع لي بني عبد المطّلب حتى أُكلّمهم وأُبلّغهم ما أُمرت به.

فصنع عليّ (عليه السلام) ما أمره رسول الله (صلى الله عليه وآله) ودعاهم وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، منهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فأكلوا، قال عليّ (عليه السلام): فأكل القوم حتى ما لهم بشيء من حاجة، وما أرى إلاّ موضع أيديهم، وأيم الذي نفس عليّ بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمتُ لجميعهم.

ثمّ قال (صلى الله عليه وآله): إسقِ القوم، فجئتهم بذلك العسّ فشربوا منه حتى رووا منه جميعاً، وأيم الله إنّه كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله. فلمّا أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يكلّمهم بادره أبو لهب فقال: لقد سحركم صاحبكم، فتفرّق القوم ولم يكلّمهم

الرسول (صلى الله عليه وآله) فأمَرَ عليّاً في اليوم الثاني أن يفعل كما فعل آنفاً، وبعد أن أكلوا وشربوا قال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا بني عبد المطّلب! إنّني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم اليه، فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فأحجم القوم عنه جميعاً إلاّ علياً، فقد صاح في حماسة: أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه، فأخذ النبيّ (صلى الله عليه وآله) برقبة عليّ وقال: إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع[١].

إذاً كان يوم الدار يوم الإعلان الصريح عن بداية مرحلة جديدة في حياة النبيّ وحياة الدعوة الإسلامية، وقد اتّسمت بالتحدّي المتبادل ثمّ المواجهة السافرة بين الإسلام والشرك.

ومن تتبّع سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأحاط علماً بجميع شؤونها وتفاصيلها في بدء تشكيل الحكومة الإسلامية وتشريع أحكامها وتنظيم شؤونها ومجرياتها وفق الأوامر الإلهية؛ يرى أنّ علياً (عليه السلام) وزير النبيّ في كلّ أمره وظهيره على عدوّه، وساعده الّذي يضرب ويبني به وصاحب أمره الى نهاية عمره الشريف. وكان يوم الدار والإنذار يوم المنطلق الذي لم يشهد ناصراً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) كعلي بن أبي طالب، شعاراً وشعوراً وجهاداً وفداءً.

عليّ (عليه السلام) من إعلان الرسالة الى الهجرة النبويّة المباركة :

عجزت قريش عن إيقاف مدّ الدعوة الإسلاميّة ومنع النبيّ (صلى الله عليه وآله) من التبليغ والهداية، فقد خابت مؤامراتهم ودسائسهم، وفشلت تهمهم وتهديداتهم، لأنّ أبا طالب كان الكهف الحصين لرسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي لم يزل يدفع عنه أذى قريش وجبروتها، فلجأت قريش الى طريقة جبانة تنمّ عن حقدها وضعفها فدفعت بالصبيان والأطفال للتعرّض للنبيّ (صلى الله عليه وآله) ورميه بالحجارة، وهنا كان الدور الحاسم لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) إذ لا يتسنّى لأبي طالب ـ وهو شيخ الهاشميّين الكبير ـ مطاردة الصبيان، فكان عليّ يطارد الصبيان المترصّدين للنبيّ ويذودهم عنه[٢].

عليّ (عليه السلام) في شِعب أبي طالب :

وحين أسرع الإسلام ينتشر في مكّة وأصبح كياناً يقضّ مضاجع المشركين وخطراً كبيراً يهدّد مصالحهم؛ عمد المشركون الى أُسلوب الغدر والقهر لإسكات صوت الرسالة الإسلاميّة، فشهروا سيوف البغي ولم يتوانَ أبو طالب في إحكام الغطاء الأمين للرسول (صلى الله عليه وآله)، لما له من هيبة ومكانة شريفة في نفوس زعماء قريش الذين لم يجرؤا على النَيْلِ من النبيّ (صلى الله عليه وآله) لأنّ ذلك يعني مواجهة علنية مع أبي طالب وبني هاشم جميعاً، وقريش في غنىً عن هذه الخطوة الباهضة التكاليف.

فاتّجهوا نحو المستضعفين المسلمين من العبيد والفقراء فأذاقوهم ألوان التعذيب والقهر والمعاناة ليردّوهم عن دينهم وتمسّكهم بالنبيّ (صلى الله عليه وآله). ولم تلق قريش غير الصمود والإصرار على الإسلام والالتزام بنهج الرسالة الإسلامية، فوجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أفضل حلّ لتخليص المستضعفين من المسلمين هو الخروج من مكّة الى الحبشة[٣].

ولمّا لم يبقَ في مكّة من المسلمين إلاّ الوجهاء والشخصيات فقد كانت المواجهة الدموية هي أبعد ما يكون، وعندها سقطت كلّ الخيارات، ولم يبق أمام قريش إلاّ أن تلجأ الى عمل يضعف الرسول (صلى الله عليه وآله) ويجنّبها القتال، فكان قرارهم حصار بني هاشم ومن معهم إجتماعياً واقتصادياً باعتبارهم الحماية التي تقي الرسول من بطش قريش، فبدأت معركتها السلبية مع بني هاشم.

وتجمّع المسلمون وبنو هاشم في شِعب أبي طالب لتوفير سبل الحماية بصورة أفضل، حيث يمكن إيجاد خطوط دفاعية لمواجهة أيِّ محاولة هجومية قد تقوم بها قريش[٤].

وللمزيد من الاحتياط والحرص على سلامة حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) كان أبو طالب يطلب من ولده عليّ أن يبيت في مكان الرسول ليلاً حرصاً على سلامته من الاغتيال والمباغتة من قبل الأعداء من خارج الشِعب[٥]، وكان عليّ (عليه السلام) يُسارع إلى الامتثال لأوامر والده ويضطجع في فراش النبيّ (صلى الله عليه وآله) فادياً نفسه من أجل

الرسالة وحاملها.

ولم يكتف عليّ (عليه السلام) بهذا القدر من المخاطرة بنفسه، بل كان يخرج من الشِعب الى مكّة سرّاً ليأتي بالطعام الى المحاصرين[٦]، إذ اضطرّوا في بعض الأيام أن يقتاتوا على حشائش الأرض.

لم يكن لأحد أن يقوم بمثل هذه الأعمال في تلك الفترة العصيبة إلاّ من ملك جناناً ثابتاً وقلباً شجاعاً ووعياً رسالياً وحبّاً متفانياً للرسول (صلى الله عليه وآله)، ذلك هو عليّ ابن أبي طالب (عليه السلام) الذي قضى في الشِعب جزءً من زهرة شبابه حيث دخله وعمره سبعة عشر عاماً وخرج منه وعمره عشرون عاماً، فكانت تجربة جديدة في حياته عَوَّدته على الاستهانة بالمخاطر، وأهّلته لتلقّي الطوارئ والمهام الجسام، وجعلته أكثر التصاقاً بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) كما عوّدته على الصبر والطاعة والتفاني في ذات الله تعالى وحبّ الرسول(صلى الله عليه وآله).

علي (عليه السلام) والهجرة الى الطائف :

لقد تراكمت الأحداث على الرسول، واشتدّت قريش في تحدّيه وإيذائه بعد وفاة عمّه أبي طالب، ولم يعد في مكّة من تهابه قريش وترعى له حرمة، حتى قال النبيّ (صلى الله عليه وآله): «ما زالت قريش كاعّةً عنّي حتى مات أبو طالب»[٧] فكان عليه أن يُغيّر مكانه ويستبدله بمكان أكثر أمناً يستطيع منه الانطلاق لنشر الدعوة الإسلاميّة الى أرجاء الجزيرة العربية والعالم أجمع، فأخذ يعرض نفسه على القبائل وابتدأ أوّلاً بالطائف، وبعد عشرة أيام من مكوثه هناك لم تتجاوب معه ثقيف، بل أغْرت به الصبيان والخدم والعبيد ليرشقوه بالحجارة، فوقف عليّ (عليه السلام) ومعه زيد بن حارثة يتلقّيان الضربات ويمنعان الصبية عن مواصلة الاعتداء حتى أُصيبا بجروح في جسدهما، ومع ذلك تعرّض رسول الله (صلى الله عليه وآله) للإصابة وسالت الدماء من ساقيه[٨].

وروي أنّه كان للنبيّ (صلى الله عليه وآله) عدّة هجرات أُخرى تحرّك خلالها لعرض نفسه على القبائل لنشر الدعوة الإسلامية وتحصين دعوته، ولم يكن معه في حركته إلاّ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فخرج الى بني عامر بن صعصعة والى ربيعة وبني شيبان[٩].

وعليّ يلازمه في كلّ خطواته.

علي (عليه السلام) في بيعة العقبة الثانية :

وحين تمّ الاتّفاق على اللقاء التأريخي بين طلائع المسلمين القادمين من المدينة مع قائدهم الرسول (صلى الله عليه وآله) في بيت عبد المطلب سرّاً وقف الى جانب الرسول عمّه حمزة وعليّ والعباس[١٠]، وتمّت البيعة على أفضل شكل.

وعلى رغم كلّ التدابير التي اتّخذت لسرّيّة اللقاء وإنجاحه إذ تمّ انعقاده دون علم أحد حتى من المسلمين، إلاّ أنّ أنباءه قد تسرّبت الى المشركين، فتجمّعوا وأقبلوا مع أسلحتهم الى مكان الاجتماع، فخرج اليهم حمزة ومعه عليّ (عليه السلام) بسيفهما، فسألوا حمزة عن الاجتماع فأنكر ذلك فرجعوا خائبين.

إنّ حضور عليّ (عليه السلام) في هذا الحدث الهام والاجتماع التأريخي يكشف عن دور عليّ (عليه السلام) في أهمّ لحظات الدعوة وتأريخ الرسالة، لأنّه كان يعطي الأنصار صورة جيدة عن رسول الإسلام وعن حماية بني هاشم له (صلى الله عليه وآله) فتزداد ثقتهم واطمئنانهم بالدعوة والرسالة الإسلامية.

وكان تخطيطاً مُوفّقاً وتدبيراً محكماً من النبيّ (صلى الله عليه وآله)، إذ استعان بأشجع رجال بني هاشم حمزة وعليّ (عليهما السلام) فهما اللّذان عُرفا بالبأس والشدّة في توفير القدر الكافي من الحماية للرسول وللرسالة معاً.

عليّ (عليه السلام) ليلة هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله) الى المدينة

كان الانفتاح الرسالي العظيم الذي قام به النبيّ (صلى الله عليه وآله) إثر المعاهدة التي أبرمها مع الأوس والخزرج في بيعة العقبة الثانية[١١]، والذي كان نقطة انطلاق الدعوة الإسلامية الى العالم الأوسع، والخطوة الكبيرة لبناء المجتمع الرسالي المؤمن، بعد أن انتشر الإسلام في يثرب بجهود الصفوة من الدعاة المخلصين والمضحّين من أجل الله ونشر تعاليم الإسلام، وبذا أصبح للمسلمين بقعة آمنة تمثّل محطة مركزية ومهمة لبلورة العمل الثقافي والتربوي والدعوة الإلهية في مجتمع الجزيرة العربية.

وحين تمادى طغاة قريش في إيذاء المسلمين والضغط عليهم لإرغامهم على ترك الدين الإسلامي وفتّهم عن نصرة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وحين كثر عتوّهم واضطهادهم؛ أمر النبيّ (صلى الله عليه وآله) أصحابه بالهجرة إلى يثرب، فقال (صلى الله عليه وآله): «إنّ الله قد جعل لكم داراً تأمنون بها وإخواناً»، فخرجوا على شكل مجاميع صغيرة وبدفعات متفرّقة خفيّة عن أنظار قريش[١٢].

ومع كلّ المعاناة التي لاقاها النبيّ (صلى الله عليه وآله) من القريب والبعيد والضغوط والتكذيب والتهديد حتى قال (صلى الله عليه وآله): «ما أُوذي أحد مثل ما أُوذيت في الله»[١٣] فإنّ أمله بالنصر على الأعداء والنجاح من تبليغ الدعوة الإسلامية لم يضعف، وثقته المطلقة بالله كانت أقوى من قريش ومؤامراتها، وقد عرفت قريش فيه (صلى الله عليه وآله) ذلك وتجسّدت لديها الأخطار التي ستكشف عنها السنون المقبلة إذا تسنّى لمحمّد (صلى الله عليه وآله) أن يلتحق بأصحابه ويتّخذ من يثرب مستقراً ومنطلقاً لنشر دعوته، فأخذوا يعدّون العدّة ويخطّطون للقضاء عليه قبل فوات الأوان على شرط أن لا يتحمّل مسؤولية قتله شخص معيّن أو قبيلة لوحدها، فلا تستطيع بنو هاشم وبنو المطلب مناهضة القبائل جميعاً في دم صاحبهم فيرضون حينئذ بالعَقل منهم.

فكان القرار بعد أن اجتمعوا في دار الندوة وقد كثرت الآراء بينهم أن يندبوا من كلّ قبيلة فتىً شابّاً جلداً معروفاً في قبيلته، ويعطى كلّ منهم سيفاً صارماً ثم يجمعون على النبيّ (صلى الله عليه وآله) في داره، ويضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه، واتّفقوا على ليلة تنفيذ الخطة، فأتى جبرئيل الى النبيّ وأخبره بذلك، وأمره أن لا يبيت في فراشه، وأذن له بالهجرة، فعند ذلك أخبر عليّاً بأمورهم وأمره أن ينام في مضجعه على فراشه الذي كان ينام فيه، ووصاه بحفظ ذمّته وأداء أمانته، وقال له أيضاً: «إذا أبرمت ما أمرتك به؛ فكن على أُهبة الهجرة الى الله ورسوله، وسر لقدوم كتابي عليك»[١٤]، وهنا تتجلى صفحة من صفحات عظمة علي (عليه السلام)، إذ استقبل أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) بنفس مؤمنة صابرة مطمئنّة، فرسم لنا أكمل صورة للطاعة المطلقة في أداء المهمّات استسلاماً واعياً للقائد وتضحية عظيمة من أجل العقيدة والمبدأ، فما كان جوابه (عليه السلام) إلاّ أن

قال للرسول(صلى الله عليه وآله): «أوتسلم يا رسول الله إن فديتك نفسي؟».

فقال (صلى الله عليه وآله): «نعم بذلك وعدني ربّي»؛ فتبسّم علي (عليه السلام) ضاحكاً، وأهوى إلى الأرض ساجداً ، شكراً لما أنبأه به رسول الله (صلى الله عليه وآله) من سلامته[١٥].

ثمّ ضمّه النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلى صدره وبكى وَجْداً به، فبكى عليّ (عليه السلام) لفراق رسول الله (صلى الله عليه وآله)[١٦].

وعندما جاء الليل؛ اتّشح عليّ (عليه السلام) ببرد رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي اعتاد أن يتّشح به، واضطجع في فراش النبيّ مطمئن النفس رابط الجأش ثابت الجنان مبتهجاً بما أوكل اليه فرحاً بنجاة النبيّ، وجاء فتيان قريش والشرّ يملأ نفوسهم ويعلو سيوفهم، وأحاطوا بالبيت وجعلوا ينظرون من فرجة الباب الى حيث اعتاد النبيّ (صلى الله عليه وآله) أن ينام فيه فرأوا رجلاً ينام على فراشه، فأيقنوا بوجود النبيّ، واطمأنت قلوبهم على سلامة خطّتهم، فلمّا كان الثلث الأخير من الليل خرج النبيّ (صلى الله عليه وآله) من الدار وقد كان مختبئاً في مكان منها، وانطلق الى غار «ثور» وكَمَنَ فيه ليواصل بعد ذلك هجرته المباركة.

ولمّا حانت ساعة تنفيذ خطّتهم؛ هجموا على الدار، وكان في مقدّمتهم خالد ابن الوليد، فوثب عليّ (عليه السلام) من فراشه فأخذ منه السيف وشدّ عليهم فأجفلوا أمامه وفرّوا الى الخارج، وسألوه عن النبيّ (صلى الله عليه وآله): فقال: لا أدري إلى أين ذهب.

وبذلك كتب الله السلامة لنبيّه (صلى الله عليه وآله) والانتشار لدعوته.

بهذا الموقف الرائع والإقدام الشجاع والمنهج الفريد سنّ عليّ (عليه السلام) سنّة التضحية والفداء لكلّ الثائرين من أجل التغيير والإصلاح والسائرين في دروب العقيدة والجهاد. لم يكن همّ عليّ (عليه السلام) إلاّ رضا الله وسلامة نبيّه (صلى الله عليه وآله) وانتشار دعوته المباركة، فنزلت في حقّه الآية المباركة: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد)[١٧].

مباهاة الله ملائكته بموقف عليّ (عليه السلام):

كان مبيت عليّ (عليه السلام) على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله) خذلاناً سافراً لقريش المعتدية، فقد خابت آمالهم وفشلت خططهم في قتل الرسول، وكان فيها إرغام الشيطان وعلو شأن الإيمان، ولم يكن أيّ عمل نظيراً للمبيت في الثواب والقيمة، كيف وقد باهى الله بهذه التضحية ملائكته، كما روي:

أ نّه ليلةَ بات عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ أوحى الله تعالى الى جبرئيل وميكائيل: إنّي قد آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياة؟

فاختار كلاهما الحياة وأحبّاها، فأوحى الله تعالى اليهما: أفلا كنتما مثل عليّ ابن أبي طالب حين آخيت بينه وبين محمّد، فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا الى الأرض فاحفظاه من عدوّه، فهبط جبرئيل فجلس عند رأسه وميكائيل عند رجليه، وجعل جبرئيل يقول: بخ بخ، من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة فوق سبع سماوات[١٨]؟

مهامّ ما بعد ليلة المبيت :

مع إطلالة فجر اليوم الأوّل للهجرة المباركة وظِلال السلام والأمان الإلهي تحوط رسول الله (صلى الله عليه وآله) في كلّ خطوة يخطوها نحو يثرب مقرّ الرسالة الإسلامية الجديد، انفرجت أسارير قلب عليّ (عليه السلام)، فقد انصرم الليل الرهيب باحتمالاته العديدة ومكارهه الكثيرة دون أن يقع شيء يمس حياته (عليه السلام) بخطر أو مكروه، واستطاع أن يؤدّي المهمّة على أكمل وجه، فقد كان على قدر عال من الانضباط والدقّة والوعي في التنفيذ.

وبقيت أمام عليّ (عليه السلام) مهمات أُخرى لم يكن بمقدور أحد أن يقوم بها، منها: أداء الأمانات التي كانت مودعة عند النبيّ (صلى الله عليه وآله) الى أصحابها ـ وهم من المشركين ـ الذين وثقوا بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) لأمانته وإخلاصه، فقد اشتهر بين

قريش بالصادق الأمين، وكذلك من يقدم من العرب في الموسم فأودعوا عنده الحلي والأموال، ولم يكن الرسول ممّن يخل بتعهداته أو يخون أماناته حتى ولو كانت الظروف المحيطة صعبة والخطورة تهدّد حياته الشريفة في تلك اللحظات المتسارعة التي يطير لبّ العاقل فيها، لم ينس النبيّ (صلى الله عليه وآله) أن يوكل هذه المهمّة الى رجل يقوم بها خير قيام، ولم يكن إلاّ عليّ (عليه السلام) لأنّه الأعرف بشؤون رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبالمودعين وأموالهم وهو القويّ الأمين.

فأوصل (عليه السلام) الأمانات الى مَن كان من أصحابها، ثم قام على الكعبة منادياً بصوت رفيع: يا أيّها الناس هل من صاحب أمانة؟ هل من صاحب وصيّة؟ هل من صاحب عدة له قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ فلمّا لم يأت أحد لحق بالنبيّ (صلى الله عليه وآله)، وكان مقام عليّ بن أبي طالب بعد النبي بمكّة ثلاثة أيام[١٩].

هجرة الإمام عليّ (عليه السلام) :

وصل رسول الله (صلى الله عليه وآله) الى (قُبا) بسلام، واستقبلته جموع الأنصار، ومن هناك بعث بكتابه إلى عليّ (عليه السلام) يأمره فيه بالمسير إليه والإسراع في اللحاق به، وكان قد أرسل إليه أبا واقد الليثي، وحين وصل اليه كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) اشترى عليّ (عليه السلام) الركائب وأعدّ العدّة للخروج، وأمر من بقي معه من ضعفاء المسلمين أن يتسلّلوا ويتخفّفوا[٢٠] إذا ملأ الليل بطن كلّ واد إلى ذي طوى[٢١]، وبدأت المهمّة الشاقّة الثالثة أمام عليّ (عليه السلام) وهي الرحيل برفقة النساء نحو يثرب، وخرج هو ومعه الفواطم: فاطمة بنت رسول الله، وأمّه فاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب، وفاطمة بنت حمزة، وتبعهم أيمن مولى رسول الله وأبو واقد الليثي[٢٢].

وتولّى أبو واقد الليثي سوق النياق، ولشدّة خشيته كان يحثّ الخطى سريعاً حتى لا يلحق بهم الأعداء.

وعزّ على عليّ (عليه السلام) أن يرى نساء بني هاشم على تلك الحالة من الجهد والعناء من سرعة الحركة، فقال (عليه السلام): ارفق بالنسوة أبا واقد، إنّهن من الضعائف.

وأخذ (عليه السلام) بنفسه يسوق الرواحل سوقاً رقيقاً، وهو ينشد ليبعث الطمأنينة في نفوس من معه:

ثمّ شدّ على بقية الفرسان وهو راجل، ففرّوا من بين يديه فزعين خائفين[٢٣].

وقالوا: احبس نفسك عنّا يا ابن أبي طالب، فقال لهم: فإنّي منطلق الى أخي وابن عمّي رسول الله، فمن سرّه أن أفري لحمه وأُريق دمه فليدنُ منّي، فهرب الفرسان على أدبارهم خائبين.

ثمّ أقبل (عليه السلام) على أيمن وأبي واقد وقال لهما: أطلقا مطاياكما، فواصل الركب المسير حتّى وصلوا «ضجنان» فلبث فيها يوماً وليلة حتى لحق به نفر من المستضعفين، وبات فيها ليلته تلك هو والفواطم يصلّون ويذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم حتى طلع الفجر، فصلّى بهم عليّ (عليه السلام) صلاة الفجر، ثمّ سار لوجهه يجوب منزلاً بعد منزل لا يفتر عن ذكر الله حتى قدموا المدينة.

وقد نزل الوحي قبل قدومهم بما كان من شأنهم وما أعدّه الله لهم من الثواب والأجر العظيم بقوله تعالى: (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكّرون في خلق السماوات... فاستجاب لهم ربّهم... فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأُوذوا في سبيلي وقاتلوا... ولأدخلنّهم جنات... والله عنده حسن الثواب)[٢٤].

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) في «قباء» نازلاً على عمرو بن عوف، فأقام عندهم بضعة عشر يوماً يصلّي الخمس قصراً، يقولون له: أتقيم عندنا فنتّخذ لك منزلاً ومسجداً؟ فيقول (صلى الله عليه وآله): لا، إنّي أنتظر عليّ بن أبي طالب، وقد أمرته أن يلحقني، ولست مستوطناً منزلاً حتى يقدم عليٌّ، وما أسرعه إن شاء الله[٢٥]!

وحين وصل عليّ (عليه السلام)؛ كانت قدماه قد تفطّرتا من فرط المشي وشدّة الحرّ، وما أن رآه النبيّ (صلى الله عليه وآله) على تلك الحالة؛ حتى بكى عليه إشفاقاً له، ثمّ مسح يديه على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك[٢٦].

ثمّ إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لمّا قدم عليه عليّ (عليه السلام)؛ تحوّل من قباء الى

بني سالم ابن عوف وعلي معه، فخطّ لهم مسجداً، ونصب قبلته، فصلّى بهم فيه ركعتين، وخطب خطبتين، ثمّ راح من يومه إلى المدينة على ناقته التي كان قدم عليها وعليّ لا يفارقه، يمشي بمشيه، وأخيراً نزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند أبي أيوب الأنصاري وعليّ معه حتى بنى له مسجده وبنيت له مساكنه، ومنزل عليّ (عليه السلام) فتحوّلا إلى منازلهما[٢٧].

من معاني مبيت الإمام (عليه السلام) في فراش النبيّ (صلى الله عليه وآله) :

١ ـ إنّ مبيت الإمام (عليه السلام) ليلة الهجرة في فراش النبيّ (صلى الله عليه وآله) بمثابة إعلان عن نضج شخصية الإمام علي الرسالية، وأهليّته في أن يمثّل شخصيّة الرسول الّذي يعهد اليه في كلّ أمر مستصعب وخطب جليل ودعوة مهمّة.

٢ ـ كانت عملية التمويه على قريش بارتداء الإمام (عليه السلام) رداء رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومبيته في فراشه ربطاً لصلة القرابة بالعلاقة المبدئية، وتأكيداً لمبدأ أنّ نفس علي هي نفس الرسول(صلى الله عليه وآله)، وخصوصاً حين أتمّ مهامّه الأُخرى التي تصرّف فيها الإمام بالأمور المالية والاجتماعية الخاصة بالرسول(صلى الله عليه وآله).

٣ ـ إنّ ثبات الإمام (عليه السلام) ثلاثة أيام في مكّة كان تأكيداً لشجاعته حين أعلن الإمام بكلّ جرأة وثقة موقفه المبدئي بأنّه ثابت على خطى الرسول، وقد نفّذ أوامره وأنجز مهامه بهدوء ودقة تامّة، ثمّ هجرته العلنية أمام أنظار قريش.

٤ ـ تجلّت في عملية المبيت بعض الجوانب العظيمة من شخصيّة الإمام (عليه السلام) والتي أوجزت حقيقة شجاعة الإمام وقوّته النفسية والبدنية ونضوجه الذهني ووعيه الرسالي واستيعابه للأوامر الآلهية.

***

[١] تأريخ الطبري: ٢ / ٦٣ ط مؤسسة الأعلمي، والكامل في التأريخ: ٢ / ٦٢، ومثله في الإرشاد للمفيد: ٤٢ الباب ٢ الفصل ٧، وأيضاً في تفسير مجمع البيان: ٧ / ٢٠٦ وتأريخ دمشق لابن عساكر: ١ / ٨٦ .

[٢] الاختصاص للمفيد : ١٤٦.

[٣] سيرة ابن هشام: ١ / ٣٢١.

[٤] سيرة ابن هشام: ١ / ٣٥٠، واعلام الورى: ١ / ١٢٥.

[٥] البداية والنهاية لابن كثير: ٣ / ٨٤ .

[٦] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٣ / ٢٥٦.

[٧] أعيان الشيعة: ١ / ٢٣٥، وسيرة ابن هشام : ٢ / ٥٧، ٥٨.

[٨] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ١٢٧.

[٩] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤ / ١٢٥.

[١٠] السيرة الحلبية: ٢ / ١٧٤.

[١١] السيرة النبوية لابن هشام: ١ / ٤٤٠، وموسوعة التاريخ الإسلامي: ٧٠٠/١.

[١٢] السيرة النبوية لابن هشام: ١ / ٤٨٠، والمناقب لابن شهرآشوب: ١ / ١٨٢، وموسوعة التاريخ الإسلامي: ٧١٧/١.

[١٣] كنز العمال : ١٣٠/٣ ، ح ٥٨١٨، حلية الأولياء: ٣٣٣/٦.

[١٤] الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٤٥، وبحار الأنوار: ١٩ / ٥٩ ـ ٦٠.

[١٥] ذكر قصّة مبيت الإمام عليّ (عليه السلام) في فراش النبي (صلى الله عليه وآله) عدد كبير من العلماء والمؤرّخين منهم: الطبري: ٢ / ٩٩، وأحمد بن حنبل في مسنده: ١ / ٣٣١، وأسد الغابة: ٤ / ٤٥، وابن عساكر في تأريخ دمشق: ١ / ١٣٧، والحاكم في المستدرك: ٣ / ٤ ، وبحار الأنوار : ١٩ / ٦٠ .

[١٦] أعيان الشيعة: ١ / ٢٧٥.

[١٧] البقرة (٢) : ٢٠٧. راجع في شأن نزول الآية شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٣ / ٢٦٢، وإحياء العلوم للغزالي: ٣ / ٢٣٨، والكفاية للكنجي: ١١٤، والتذكرة لسبط ابن الجوزي: ٤١، ونور الابصار للشبلنجي: ٨٦، والطبقات لابن سعد: ١ / ٢١٢، وتأريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٩، وسيرة ابن هشام: ٢ / ٢٩١، والعقد الفريد لابن عبد ربّه: ٣ / ٢٩٠، وتفسير الرازي: ٥ / ٢٢٣، وشواهد التنزيل للحسكاني: ١ / ٩٦.

[١٨] تذكرة الخواص: ٤١، والسيرة الحلبية بهامشه السيرة النبوية: ٢ / ٢٧، والفصول المهمّة لابن الصبّاغ: ٤٨، والمناقب لابن شهراشوب: ٢ / ٦٥، وبحار الأنوار: ١٩ / ٣٩، وأُسد الغابة لابن الأثير: ٤ / ٢٥.

[١٩] المناقب لابن شهرآشوب: ٢ / ٥٨، ومروج الذهب للمسعودي: ٢ / ٢٨٥.

[٢٠] يتخفّفوا: لا يحملوا معهم شيئاً يثقل عليهم.

[٢١] ذي طوى: موضع قرب مكة .

[٢٢] أمالي الطوسي : ٢ / ٨٤ ، وعنه بحار الأنوار : ١٩ / ٦٤ .

[٢٣] بحار الأنوار : ١٩ / ٦٥ .

[٢٤] آل عمران (٣) : ١٩١ ـ ١٩٥ ، راجع بحار الأنوار : ١٩ / ٦٦ ـ ٦٧ .

[٢٥] روضة الكافي: ٣٣٩.

[٢٦] بحار الأنوار: ١٩ / ٦٤، والمناقب لابن شهرآشوب: ١ / ١٨٢، والكامل لابن الأثير: ٢ / ١٠٦.

[٢٧] روضة الكافي: ٣٣٩ ـ ٣٤٠.